وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر *بسكرة*
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – قطب شتمة –
قسم العلوم الإنسانية
شعبة التاريخ

عنوان المذكرة

المقاومة الشعبية في الصحراء الشرقية (الطاسيلي والهقار)بين 1871-1920

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ معاصر

إعداد الطالبة :
حفصية رزقي

إشراف الأستاذ :
لخضر بن بوزيد

السنة الجامعية : 2014/2013.

مقدمة

منذ أن وطأت أقدام الاستعمار الفرنسي أرض الجزائر وهو في توسع إلى أن وصلت إلى آخر نقطة من أرض الوطن،لكنها لم تستطع فرض السيطرة بسهولة وخاصة عند تحول المناطق الصحراوية بما فيها منطقة الهقار إلى معاقل للثوار الفارين من الشمال، بهدف الإستعداد للمقاومة من جديد بذلك قرر الفرنسيون التوسع في أعماق الصحراء للسيطرة على كامل التراب الوطني وجعل أراضي الجنوب مناطق نفوذ فرنسية ،فالصحراء تعتبر نقطة استراتيجية بالنسبة لفرنسا فتحت لها الآفاق على العالم الإفريقي لذلك قررت الحكومة الفرنسية القيام بإجراءات صارمة لإحكام القبضة على الجنوب الجزائري لضمان نفوذها على كامل التراب الوطني ولذلك كثفت البعثات الإستكشافية والحملات التبشيرية إلى الصحراء التي مهدت للإحتلال الفرنسي .

وتعد المقاومة الشعبية ضد الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية بصفة عامة ومنطقة الهقار بصفة خاصة إحدى الحلقات المضيئة في تاريخ الجزائر المعاصر ولو أنها ما تزال بعد في أمس الحاجة إلى الدراسة والإثراء وذلك لما يكتنفها من التشويه أحيانا ومن الغموض واللبس حول دوافع وأهداف المقاومة الشعبية أحيانا أخرى ومن ثم فقد حان الأوان أكثر من أي وقت مضى لتسليط الضوء على المنطقة الصحراوية والكشف عن بنيتها الإجتماعية والفكرية التي تجسدت في المقاومة الشعبية وكذا الكشف عن مزايا سكان المنطقة واستخلاص بعض الميزات لما عرفت به شعوب الصحراء الجزائرية من مسيرة الوقوف في وجه المحتل الفرنسي بعد أن تم القضاء على المقاومة في الزيبان وفي الجنوب الغربي الذي قادها الشيخ بوعمامة وحركة الشريف محمد بن عبدالله بواحات الأغواط .

لقد قام الكثير من الباحثين بدراسة منطقة الهقار والطاسيلي خاصة دراسات حول الطوارق لكن في معظمها كانت ذات طابع اجتماعي و ثقافي واقتصادي ولم يتعرض الباحثون لمقاومة الطوارق للإحتلال الفرنسي إلا في معرض حديثهم عن مقاومة احتلال الجزائر،لذلك أردت أن أخوض في هذا المجال للتعريف بمقاومة الطوارق ومساهمتهم في الدفاع عن الوطن وتمسكهم بالروح الوطنية و مقاومة كل ماهو أجنبي ومن بين هذه الدراسات :

-عبد السلام بوشارب في كتابه "الهقار أمجاد وأنجاد" ،والذي ركز فيه على الجانب الإجتماعي والثقافي .

-بوزيد سبابو مريم"دور الغناء والموسيقى في تشكيل الهويات الإجتماعية عند طوارق الآزجر "مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه،قسم علوم اجتماعية جامعة بن يوسف بن خدة ،الجزائر،(2007-2008)،وتناولت فيها البيئة الثقافية.

تمثل هذه المقاومة محطة هامة في مقاومة سكان المنطقة بصفة خاصة والشعب الجزائري بصفة عامة للاحتلال الفرنسي إلا أنها تكاد تكون مجهولة لدى الكثير من الباحثين والطلبة إضافة إلى قلة اهتمام الباحثين بهدف المقاومة مما سبب نقص في المراجع حول الموضوع باستثناء بعض الكتابات الفرنسية وهذا ما دفعني لتسليط الضوء على جوانب من الموضوع وإعطاء صورة حول مقاومة الطوارق بالهقار و الطاسيلي إضافة للتعرف على تاريخ المنطقة وحضارة شعوبها وإبراز مدى كفاح سكان المنطقة ضد الإحتلال الفرنسي .

ولضبط الموضوع زمنيا حددنا له إطار يمتد من سنة 1871وهي بداية التوغل الفرنسي في الصحراء كما اعتبرت حدا فاصلا للشمال الجزائري وتم القضاء على المقاومة هناك ، أما بالنسبة 1920 تم فيها احتلال العديد من المناطق الصحراوية وكذلك تزامنت مع الحرب العالمية الأولى والتي كان دور في المقاومة.

إن هذا البحث يتناول منطقة الهقار و الطاسيلي بصفة خاصة والصحراء بصفة عامة والتي مازالت مجهولة عند الدارسين بالإضافة إلى مدى معرفة مساهمة سكان المنطقة في المقاومة الشعبية ولمعالجة هذا الموضوع نطرح **الإشكالية** التالية :

- ماهي أساليب التوغل الفرنسي في الصحراء الجزائرية وكيف كانت ردة فعل الطوارق عليها ؟

ويندرج ضمن الإشكال تساؤلات فرعية :

- من هم الطوارق ؟

- إلى أي مدى ساهمت الرحلات الجغرافية والبعثات الإستكشافية في التمكن من الإحتلال ؟.

- إلى أي مدى ساهمت المقاومة الطارقية في ردع الإستعمار الفرنسي؟.

- وماهي نتائج المقاومة ؟

نظرا لطبيعة الموضوع ومن أجل الوصول إلى الهدف المطلوب وللإجابة عن التساؤلات المطروحة اعتمدت في دراستي على المنهج التاريخي بما فيه من وصف وتحليل الذي يعتمد على سرد الأحداث بطريقة وصفية خلال دراستها بالتسلسل،كما قمت بتحليلها والمنهج المقارن في مقارنتها مع المقاومات الشعبية الأخرى .

ولدراسة هذا الموضوع قمت بتقسيمه إلى ثلاث فصول إضافة إلى فصل تمهيدي وخاتمة .

أولا :فصل تمهيدي :وهو أرضية للموضوع وذلك بإعطائه الحيز الجغرافي من موقع ومساحة وظروف مناخية ونباتية وحيوانية ونشاط بشري .

ثانيا :الفصل الأول: وتطرقت فيه إلى أصل الطوارق وموطنهم الأصلي ونظامهم السياسي وحياتهم الإجتماعية والإقتصادية إضافة إلى عاداتهم وتقاليدهم .

ثالثا :الفصل الثاني: يتناول هذا الفصل حركة المغامرين ومساهمتهم الكبيرة في توفير المعلومات اللازمة في الميادين الجغرافية والمناخية للمنطقة ومدى مساهمة الجمعيات

الإستكشافية التي لها علاقة مباشرة مع حكوماتها إضافة إلى حركة المبشرين لذلك ركزت على الأب "شارل دي فوكو"الذي يمكن اعتباره نموذجا لهذه الحركة كونه مغامرا مستوطنا ومتعاونا مع ضباط المنطقة .

رابعا : الفصل الثالث :الذي يعتبر جوهر الدراسة لأنه يبين مقاومة الطوارق سكان المنطقة (الهقار والطاسيلي) للتوسع الفرنسي إضافة إلى توضيح نتائج هذه المقاومة .

خامسا :أنهيت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال الدراسة ومنها على الخصوص أن منطقة الهقار والطاسيلي منطقة استراتيجية في ربط مستعمرات فرنسا في شمال وغرب إفريقيا .

أما عن الصعوبات التي واجهتني ضمن هذه الدراسة :

* قلة المراجع التاريخية التي تطرقت للموضوع وخاصة الوثائق والمصادر وكل ما وجد منها يعد إلا إشارات وردت في دراسات عامة أو مقالات .

* يحتاج هذا البحث إلى الإطلاع على الأرشيف الفرنسي .

* معظم المراجع باللغة الأجنبية وهذا يتطلب الوقت لترجمة المعلومات ودراستها .

* صعوبة التنقل إلى المنطقة وجمع الوثائق والقيام بدراسة ميدانية .

على الرغم من الصعوبات التي واجهتني فقد حاولت قدر الإمكان جمع أطراف الموضوع من المصادر والمراجع وهكذا اعتمدت على جملة من الكتب منها :

– كتاب عبد السلام بوشارب بعنوان الهقار أمجاد و أنجاد والذي يمس جميع جوانب الموضوع

– كتاب محمد سعيد القشاط بعنوان التوارق عرب الصحراء الكبرى والذي استفدت منه في الفصل الأول و أمدني بمعلومات قيمة عن مجتمع الطوارق .

– كتاب محمد السويدي بعنوان بدو التوارق بين الثبات والتغير والذي يبرز حياة الطوارق من الناحية الأنثروبولوجية .

– كتاب إسماعيل العربي بعنوان الصحراء الكبرى وشواطئها،إضافة إلى كتاب أعميراوي أحميدة بعنوان السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائية واستفدت منهما في الفصل الثاني حيث درسا جانب مهم من البعثات الإستكشافية والحملات التبشيرية في الصحراء الجزائرية .

– كتاب مياسي إبراهيم بعنوان الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية و كتاب يحيى بوعزيز بعنوان موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر ومقال الأستاذ إبراهيم العيد بشي بعنوان مقاومة سكان الجنوب الشرقي واستفدت منها في الفصل الثالث الذي تناول مقاومة الطوارق.

إضافة إلى بعض الكتب بالفرنسية والمجلات التي تخدم الموضوع.

قائمة المختصرات:

ط ـــــــــــــــ (الطبعة)

ع ـــــــــــــــ (العدد)

ج ـــــــــــــــ (الجزء)

ص ـــــــــــــــ (الصفحة)

تر ـــــــــــــــ (ترجمة)

تع ـــــــــــــــ (تعريب)

د.ط ـــــــــــــــ (دون طبعة)

د.ن ـــــــــــــــ (دون نشر)

د.س.ن ـــــــــــــــ (دون سنة نشر)

د.س ـــــــــــــــ (دون سنة)

ع.س ـــــــــــــــ (على الساعة)

إهداء

إلى روح والدتي الطاهرة

إلى من افتقدها في مواجهة الصعاب ولم تمهلها الدنيا لأرتوي من حنانها

"أمي"

إلى من تتسابق الكلمات لتخرج معبرة عن مكنون ذاته"أبي"

إلى الشموع التي تضيء دربي وتنير طريقي وتقاسمني الحياة إخوتي:

(وافي ،عبد الجليل،عامر،سهيلة، قمرة، ماجر،خولة، فريال)

إلى أنيس دربي الذي كان معي وقت الشدة "ورد"

إلى كل الأهل سواء من قريب أو من بعيد

إلى زملائي و زميلاتي بجامعة "محمد خيضر" - بسكرة-

إلى كل من يحبهم قلبي ولم يذكرهم قلمي

خاتمة:

من خلال الدراسة يتضح أن التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية لم يكن وليد الصدفة بل كان تخطيطا مبرمجا منذ زمن بعيد وذلك أن هذه العملية بدأت منذ القرن السابع عشر بإرسال جحافل المبشرين ورجال الدين المسيحيين والمغامرين و المستكشفين إلى هذه المناطق الصحراوية ،وكان العديد من رواد البعثات العلمية الاستكشافية الفرنسية يستعملون نفوذهم المادي و المعنوي و السياسي، ويستخدمون الجزائريين ليكونوا أدلاء ومساعدين لتحقيق أغراضهم من أجل السيطرة و التوسع .

ولقد عانى الإستعمار الفرنسي من ويلات المقاومة الشعبية في المناطق الشمالية ولم يتمكن من إخماد نيرانها إلا بصعوبة ،وكان يخشى أية حركة شعبية وخصوصا بعد نزوح العديد من تيارات الإنتفاضات باتجاه مناطق الجنوب والمناطق المتاخمة للصحراء و البحث عن دعم آخر لتنظيم حركة الرفض وهذا ما أدى إلى تحول مناطق الجنوب إلى معاقل للثوار بما فيها منطقة الطاسيلي والهقار.

لم تكن منطقة الهقار منعزلة عن المقاومة بل عرفت عدة نشاطات عسكرية وتضحيات نضالية في سبيل ربط أواصر الكفاح بين شمال البلاد وجنوبها وإفشال مخططات العدو الرامية إلى إحداث شروخ في صفوف الأمة الجزائرية ،وبفضل تلاحم سكانها استطاعت أن تحقق النصر رغم فشلها .

وجدت منطقة الهقار نفسها تحت أوضاع اجتماعية و اقتصادية نتيجة حقبة إستعمارية طويلة كرست مظاهر التخلف والعزلة والتهميش والحرمان .

وقد خلصت إلى النتائج التالية:

-إن الاستعمار الفرنسي حاول مسخ المنطقة وشوه تاريخها ،وسلب الناس في الصحراء أفضل عاداتهم وقضى على أئمة الإسلام وكبار المشاهير في الصحراء الكبرى.

-فرض الاستعمار الفرنسي على سكان المنطقة من عرب و طوارق الجهل والفقر وتشردهم في القفار والصحاري محاولا إبادتهم كعنصر عربي في الصحراء .

-إن الجهاد الذي قام في الصحراء الكبري ضد الاستعمار الفرنسي ساهم فيه جميع سكانها .

-إن تاريخ المنطقة وخاصة الصحراء تعرض للتشويه من قبل المستعمرين وهو بحاجة ماسة لأقلام الشرفاء ليزيحوا عنه الغبار ويقدموه في صورته الحقيقية .

و عليه يمكن القول إن المقاومة الشعبية في الصحراء الشرقية سجلت صفحات مشرقة في تاريخ الجزائر المعاصر.

الفصل الأول:

دراسة أنثروبولوجية لمجتمع الطوارق:

أولا:أصل الطوارق وموطنهم الأصلي

ثانيا:النظام السياسي لمجتمع الطوارق

ثالثا:الحياة الإجتماعية و الثقافية لمجتمع الطوارق

رابعا:النشاط الإقتصادي لمجتمع الطوارق

الفصل الثاني:

أساليب الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية

أولا:البعثات الإستكشافية

ثانيا:الحملات التبشيرية

الفصل الثالث:

مقاومة الطوارق للتوسع الفرنسي:

أولا:مقاومة التبشير المسيحي

ثانيا :مقاومة التغلغل العسكري المسيحي

ثالثا:نتائج المقاومة الطارقية

1- الإطار الجغرافي :

إن الصحراء الجزائرية جزء من الصحراء الكبرى الإفريقية التي تمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى البحر الأحمر شرقا ويحدها من الشمال الجبال الأطلسية ومن الشمال الشرقي ساحل البحر الأبيض المتوسط ،أما من الناحية الجنوبية فيحدها ما يعرف ببلدان الساحل وتغطي الصحراء الكبرى مساحة تقدر بثمانية ملايين كيلو متر مربع ،تشترك فيها كل من جنوب المغرب الأقصى والجزائر وتونس وليبيا ومصر في الشمال وموريطانيا والصحراء الغربية من الغرب ومالي والنيجر وتشاد والسودان من الجنوب [1] وتنقسم حسب البنية التضاريسية إلى :

*أ *الجبال :تتمثل في كتلة الهقار* والطاسيلي **وهي مرتفعات ذات منشأ بركاني صخورها صلبة توجد بها أعلى قمم الجزائر "تاهات 2918م".

ب العروق :هي كثبان رملية متحركة أكبرها العرق الشرقي الكبير والعرق الغربي الكبير ،عرق إيفدي ،عرق الراوي ،عرق الشاش .

ج الحمادة :هي مساحات واسعة من الصخور الجيرية على شكل صفائح يمكن البناء وشق الطرق فوقها ،ومن أكبرها حمادة "تادمايت 8365م "فوق سطح البحر والتي تعرف باسم هضبة تادمايت ، ،حمادة الذراع .

---

[1] إبراهيم مياسي:توسع الإستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري،1881-1912،مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، 1900،ص19.

* الهقار :سلسلة جبلية شهيرة تقع في اقصى الجنوب الشرقي للجزائر بولاية تمنراست وتغطي مساحة 450ألف كم مربع ربع المساحة الإجمالية للجزائر

** الطاسيلي:تعني السلسلة الجبلية التي يغطيها السواد أما ازجر فهي تعني جلد "الثور المسلوخ"و"رأس الأقرع "(أنظر إبراهيم العيد بشي، تاسيلي ناجر (البنية الجغرافية والحضارية)،ج3 ،دار الحبر،الجزائر،2009،ص67).

د الرق :عبارة عن مناطق كثيرة الحصى وهي قليلة الإرتفاع وتعرف باسم السهول الصحراوية مثل سهل "تنزروفت" *غرب جبال الهقار .

هـ الشطوط :هي مساحات مائية مالحة تصب فيها الوديان الصحراوية وأكبرها على الإطلاق في الجزائر شط ملغيغ.

و الأودية :تجري بالصحراء عدة أودية تعرف بالوديان الكاذبة تجري عند سقوط الأمطار ثم تجف بعد ذلك لمدة طويلة مثل وادي جدي ، وادي أغرغار ،وادي الساورة .

ن الواحات :مساحات خضراء وسط الصحراء القاحلة وهي غنية بنخيلها ويتركز مخططها في الشمال الإفريقي للصحراء بالقرب من شط ملغيغ ،من أكبر الواحات :واحة بسكرة ،واحة تقرت ،واحة الوادي(أنظر الملحق رقم 1) .

ورغم عزلة هذه المنطقة وحرمانها فإنها تتمتع بأهمية اقتصادية تتمثل في احتوائها على ثروات معدنية مختلفة وإن هذا الوضع الجغرافي له انعكاس مباشر على المناخ حيث ينحصر المناخ الصحراوي في الجنوب إذ يغطي نسبة هامة من البلاد ،فأمطاره قليلة وغير منتظمة تقل عن(200ملم/سنة)والجو جاف والحرارة عالية باستثناء منطقة الهقار المتأثرة بالمناخ المداري حيث الأمطار تسقط صيفا والحرارة أكثر اعتدالا [1] .

وتبلغ الحرارة في الصحراء 70درجة لكنها تنزل زمن الشتاء إلى ما تحت الصفر ليلا وبلاد الصحراء قليلة الأمطار والأودية لكن المياه التي تنزل من جبال الأطلس أومن نجد الصحراء

---

* تنزرفت :عبارة عن وادي يتضمن سهول رملية واسعة ،تقع على سفوح جبال التاسيلي الشرقية كما يقع بالغرب من جبال الأتاكوس ويمر هذا الوادي في منطقة تادارت بجانب سلسلة جبال بئر تنالكوم في مدينة غاتز(أنظر إبراهيم العيد بشي،المرجع السابق،ج3،ص53).

[1] أطلس الجزائر والعالم طبيعيا وبشريا واقتصاديا وسياسيا،دار الهدى ،عين مليلة ،الجزائر ، د س ن، ص ص25-26.

تسير مختفية تحت الرمال فإذا ظهرت تكونت حولها الواحات وأهم الأودية :وادي العرب ،وادي ريغ،وادي إيغرغار[1] ،بالإضافة إلى ذلك تتعرض الصحراء إلى هبوب رياح جافة وفي بعض الأحيان مثيرة لعواصف هوجاء من الرمال ،تعرقل جميع أنواع النشاط البشري .

ولقد كان للظروف المناخية في الصحراء انعكاس مباشر على الحياة النباتية التي تتميز بالضآلة وتحملها للجفاف والحرارة المرتفعة والبرودة الشديدة في نفس الوقت ورغم المواد النباتية الضئيلة المبعثرة والمتباعدة فإنها سمحت لنمو وعيش أنواع عديدة من الحيوانات كالغزلان التي تعيش في العروق مع ذئاب الرمال ومجموعة كبيرة من الجرذان والأفاعي والزواحف المتنوعة والطيور[2] ، وتشتهر الصحراء بأهم حيوان ألا وهو الجمل الملقب "بسفينة الصحراء"الذي يستطيع تحمل عناء العطش والجوع لمدة طويلة وبذلك فهو يتمكن من قطع مسافات بعيدة كما أن الجمل يستعمل في شتى الأعراض منها النقل والمواصلات كما أنه يعطي الحليب واللحم والجلود والوبر للملابس والخيام [3] .

أما بالنسبة للجانب البشري فعدد السكان ضئيل رغم المساحة الشاسعة وبذلك فهم ينتظمون داخل بيئة إجتماعية ذات طابع يدوي نظرا للظروف الطبيعية المتحكمة في حياتهم وخاصة منها ندرة المياه ،لأن وجود المياه بكميات كافية يسمح بممارسة الزراعة ومن ثم الإستقرار أما نقصانه يعني البداوة والترحال والتشتت، لذلك يصنف السكان إلى صنفين هما البدو والحضر ، فالبدو يقومون بعملية "العشابة" وهي الإنتقال في بداية فصل الصيف إلى الشمال نحو الهضاب المرتفعة ثم العودة إلى الصحراء في أواخر فصل الخريف كما تستمر عملية الترحال داخل الصحراء طيلة السنة من طرف قبائل الشعانبة والطوارق وسكان ضواحي

---

[1] أحمد توفيق المدني :أبطال المقاومة الجزائرية و يليه جغرافية القطر الجزائري،مج9،عالم المعرفة ، الجزائر،2110،ص69

[2] عميراوي احميدة وآخرون:السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية(1844-1916)،دار الهدى الجزائر،2009،ص16.

[3] إسماعيل العربي:الصحراء الكبرى وشواطئها،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،1983.ص82.

الواحات ،أما الحضر فهم يعيشون داخل قصور أو قرى حيث تمثل القرية أو القصر*الخلية الأساسية للتنظيم الإجتماعي وحتى السياسي في بعض الأحيان وهي مركز تجاري أو زراعي أو هما معا [1].

كما تعتبر الصحراء بلدة البدواة حيث يعيش مربوا الجمال مع وجود بعض الزراعات المروية بفضل تقنيات معقدة كالآبار وتتم على هوامش الصحراء زراعة مروية بالأمطار ويقومون بها مزارعون كانوا تابعين للبدو مربي المواشي [2].

ويمكن القول أن الصحراء في تركيبها الجغرافي أبسط من المنطقة التلية إذ لا نجد بها الجبال المتقطعة ولا المرتفعات المعقدة ولا السهول الضيقة المحصورة والإلتواءات الحديثة ولكن نجد السهول النحاتية الواسعة والأحواض المغلقة والجبال شديدة الإنحدار والعروق الرملية المتنقلة [3].

بالإضافة إلى ذلك تأتي المياه السطحية بفضل مجاري المياه المنحدرة من الأطلس الصحراوي والنظام النهري لكل من الأودية الآتية :وادي قير ،وادي الساورة ،وادي الأبيض بنواحي بسكرة ووادي مزى بنواحي الأغواط [4].

---

* القصر: وهوعبارة عن قرية صغيرةمسورة لصد هجومات الأعداء(أنظر إبراهيم مياسي،توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي ،المرجع السابق،ص23).

[1] إبراهيم مياسي ،المرجع السابق ،ص23.

[2] خليفة عبد القادر ،تحولات البنى الإجتماعية وعلاقاتها بالمجال العمراني في مدن الصحراء الجزائرية،مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه،قسم العلوم الإنسانية و الإجتماعية ،جامعة بسكرة،2011،ص157.

[3] عبد القادر حليمي:جغرافية الجزائر طبيعية بشرية اقتصادية ،مكتبة الشركة الجزائرية ،الجزائر ،1986،ص56،

[4] المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر1954،فصل الصحراء في السياسة الفرنسية،دار القصبة ،الجزاءر ،2009،ص30

منطقة الطاسيلي آزجر :

تقع الطاسيلي آزجر في الجنوب الشرقي الجزائري ضمن الصحراء الوسطى وهي عبارة عن كتلة ناتئة أو بارزة محاطة بالرمال الكثيفة في أغلب نواحيها وجهاتها ففي الشرق البحار الرملية الليبية كعرق مرزق وأباري وفي الجنوب التنيري الشاسع وعرق أدمر أما في الشمال عرق إسوان وعرق بورجارت وعلى الطرف الجنوب الشرقي من الطاسيلي تظهر مرتفعات أدرار البركانية [1] .

أو هي عبارة عن هضاب صخرية جرداء وجبال تتقاطع بها أودية كثيرة تشكل البطون الجافة لطرق مائية قديمة تستضيف بعض الكهوف الواسعة المنفتحة بفعل ظاهرة الحت،كما توجد بها سهول واسعة تغطيها الرمال تسمى العروق وهي غالبا تعد بمثابة أحواض منخفضة تختفي فيها معظم الأودية ،والطاسيلي منطقة متداخلة الأراضي بحيث يصعب تحديد حدود حقيقية لها ، فهي تقع بين دائرتي عرض 21و28درجة شمالا وبين خطي طول 5و20درجة شرق خط غرينيتش وقد حددها "جون دوبياف"بين 23و30درجة بالنسبة لدوائر العرض شمال خط الإستواء وبين 5و14درجة بالنسبة لخطوط الطول شرق خط غرينتش [2] ،وتحتوي منطقة الطاسيلي آزجر على 5000نسمة منهم2000يقطنون مدينة جانيت و1000نسمة في فربولياك (إليزي)،أما الباقي فهم رحل يقيمون خاصة في المناطق الجبلية حيث يتوفر الماء والمرعى للجمال والماعز [3] ،وبالنسبة للأراضي الواقعة داخل التراب الجزائري من الطاسيلي فهي نفسها إقليم الحظيرة الوطنية للطاسيلي أنشأت بموجب القرار الوزاري المؤرخ في 26جويلية1972حيث ورد في المادة 168حدود المنطقة كالتالي:شرقا الحدود مع الجماهيرية الليبية ،من الجنوب الشرقي ابتداء من الحدود مع النيجر إلى وادي تفساست غربا ،ومن الجنوب الغربي مرتفعات

---

[1] مسعود كواتي :تاريخ الجزائر المعاصر، وقائع ورؤى ،دار هومة الجزائر ، 2011 ،ص73.

[2] لخضر بن بوزيد :الطاسيلي آجر في ماقبل التاريخ –المعتقدات والفن الصخري،دار الحبر، الجزائر ،2014،ص11.

[3] مسعود كواتي،نفسه،ص74.

أدمو لتصل هضبة تين أمنوار لغاية أمقيد شمالا ،وتقسم منطقة الطاسيلي والأراضي القريبة منها إلى أربعة أشكال :

النجد الجيري المتبلور ويتمثل في منطقة الهقار والأرض الجنوبية وهو في منطقة الطاسيلي ممثلا في سهل أمادرور وأدمير ،أما الأقسام الثلاثة في الطاسيلي فهي الطاسيلي الداخلي والطاسيلي الخارجي والأحدود بداخل الطاسيلي الأوسط .

يضاف إلى ذلك ما نضمته الموسوعة البريطانية الجديدة "بريطانيكا" Encyclopédie The New Britannica التي عرفت منطقة الطاسيلي ناجر كما يلي"هي عبارة عن منطقة جبلية ساهلة الإرتفاع في وسط الصحراء توجد جنوب الجزائر غنية بالرسوم الصخرية التي تم اكتشافها في القرن التاسع عشر. "

رغم أن منطقة الطاسيلي تبدو جرداء قاحلة إلا أنها تتوفر على مخزون هام من المياه الجوفية تعود إلى مرحلة ما قبل التاريخ وتغذيها الأودية باستمرار وتصنف الأودية إلى صنفين هما :

*أ *الوديان المتجهة نحو البلد ما قبل الطاسيلي نذكر من هذه الأودية واد إميهروا، وواد جرات *ب*الوديان المتجهة نحو السهل تحت الطاسيلي [1] وأهمها أودية أمدور وأجريت *،وهناك عدد كبير من الأودية والأحواض منها:

"وادي أمستان ،ووادي ترات ،ووادي سامن ،وهناك بعض الأودية تعتبر بمثابة الأنهار لكونها ذات مجاري واسعة .

ويقول ابراهيم العيد بشي أن الكثير من الأودية يتغير إسمها حسب المنطقة.

---

[1] لخضر بن بوزيد،المرجع السابق،ص ص13-14.

* هوعبارة عن منطقة رملية واسعة تقع شمال مدينة غات وهذا الوادي تعبره المياهالتي تسيل من جبال الأكاكوس(أنظر إبراهيم العيد بشي ،المرجع السابق،ج3،ص90)

وتعتبر القلتات من مصادر المياه في الطاسيلي وهي مكان تجمع المياه العذبة في بعض المناطق من الطاسيلي والهقار والطوارق يسميها باسم "ألوقان أو إقول مامن" حيث تتواجد في أماكن تتمتع بظروف خاصة حيث إذ تتجمع فيها المياه من مصادر مختلفة وهي في الغالب مناطقها جبلية تتمتع ببيئة رطبة ومن أشهرها "إسكرنس ،أفيلال ،تغمارت ،تنكرست،تيمسروجين " ومعظم هذه القلتات متواجدة في منطقة "الأتاكور " *وما جاورها ،كما تتواجد القلتات في مناطق أخرى من بينها إنزيز في الحدود الشمالية لتانزروفت "تكنوبين في الامبتر وكيمساكن قرب أمقيد وبعض هذه القلتات صنفت على أنها من المناطق الرطبة بواسطة اتفاقية رامسار[1].

مناخ منطقة الطاسيلي ناجر قاري وصحي شتاءه يتصف بالبرودة ونقص الأمطار خاصة معظم مرتفعات الطاسيلي وتأتي الرياح غالبا من الجنوب الشرقي جافة جدا وقوية ومحملة بأتربة وسرعان ما تتحول إلى أعاصير وزوابع رملية وهي ذات آثار مضرة بالزرع والطبيعة ،كما نلاحظ تذبذب في سقوط الأمطار بين شمال منطقة الطاسيلي ناجر وجنوبها [2].

كما يمكن تقسيم الغطاء النباتي في منطقة الطاسيلي ناجر إلى ثلاثة أقسام :

*الأشجار الباسقة :وتكون دائمة الخضرة كالنخيل أو تكون مخضرة في الصيف وتتساقط أوراقها في الشتاء كالسدر .

*الشجيرات :وهي شجيرات صغيرة ترتفع على سطح الأرض إلى متر أو أكثر تخضر في فصل سقوط الأمطار وتجف في فصل الجفاف وتتغذى عليها الحيوانات وقت اخضرارها ويستفيد منها الناس في بناء أكواخهم .

---

* الأتاكور :منطقة جبلية موجودة في وسط الهقار .

[1] Bida Badi : Les Régions de Lahggar et duTassili najer,Rouiba,algérie ,2004,p20 .

[2] إبراهيم العيد بشي،ج3،المرجع السابق،ص ص93-94.

*الحشائش :تنمو بعد سقوط الأمطار في فصل الربيع يزهر ثم يذبل بعد هبوب الرياح مثل: الشيح وهو عبارة على شجيرات صغيرة لها رائحة طيبة جدا ويعتبر من الأدوية الناجعة لمعالجة الأمراض المضرة .

كما أن طبيعة الطاسيلي النباتية جعلت الثروة الحيوانية بها مختلفة ففي الماضي كانت تعيش بها حيوانات ضخمة كالفيلة والزرافة ثم انقرضت فيما بعد وبقي منها ما هو بري أو متوحش وأليف [1].

والطاسيلي بصفة عامة سلسلة صخرية تتقاطع بها أودية كثيرة التي تشكل البطون الجافة بطرق مائية قديمة جدا وتضم فيها عدد كبير من الأودية الصغيرة والكبيرة وتستضيف بعض الكهوف الواسعة المنفتحة بالجدران الصخرية بفعل ظواهر النحت [2].

---

[1] محمد سعيد القشاط ،التوارق عرب الصحراء الكبرى،ط2،مركز الدراسات وأبحاث شؤون الصحراء،1989،ص87 .

[2] إبراهيم العيد بشي ،ج3،المرجع السابق،ص 135.

منطقة الهقار :

تكسي الحضيرة الوطنية بالأهقار بتمنراست أهمية بالغة ذات أبعاد متعددة لما تزخر به من الكثير من الشواهد الطبيعية الحية التي لا زالت تعبر على مدى آلاف السنين عن أسرار الوجود الإنساني والحيواني والنباتي بهذه المنطقة من الجنوب الكبير،ويعبر الهقار الأكثر علوا في الصحراء الجزائرية .

الهقار هي سلسلة جبلية شهيرة تقع في أقصى الجنوب الشرقي للجزائر بولاية تمنراست وهي تغطي مساحة 450ألف كلم مربع من ربع المساحة الإجمالية للجزائر وهي تمتد على مدار السرطان الوهمي الذي يغطيها على الشمال وهي عبارة عن تشكيلات جبلية بركانية ذات تاريخ عريق ضارب في أعماق الزمن [1]،وأصبحت هذه المنطقة حضيرة لأهميتها في الجزائر والعالم وهي معروفة بمناظرها الخلابة وسحرها الجذاب،وبجبال الهقار توجد أعلى القمم وهي قمة "تاهات أتاكور" [2]وكذلك يوجدبها أحد أجمل الممرات في العالم وهو ممر "سكرام"الذي يمكن منه مشاهدة أجمل شروق وغروب الشمس في الجزائر .

والهقار يمثل كتلة تضاريسية موحدة النمط ومختلفة كل الإختلاف عن تضاريس بقية الصحراء من حيث بنيتها المورفولوجية ،فهي عبارة عن كتلة صخرية منحصرة بين من كل هضبة "تيدكلت"شمالا و"التنزروفت"غربا ، "صحراء تيندي"شرقا يخترقها مدار السرطان ويقسمها إلى قسمين [3]ومن المناطق التضاريسية في الهقار :

*منطقة الأتاكور: هي الأكثر ارتفاعا في المنطقة بفضل موقها الوسطي هذا وارتفاعه الكبير فإن الأتاكور يتحكم في مجمل الشبكة المائية للصحراء الوسطى فهناك تشكلت أكبر الأودية

---

[1] لخضر بن بوزيد،المرجع السابق،ص17.

[2] أحمد توفيق المدني :هذه هي الجزائر،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة،2001،ص19.

[3] لخضر بن بوزيد،المرجع السابق،ص17.

التي كانت مجاريها في السابق حتى شطوط النيجر و التشاد ،كما يرى عدة باحثين أن الطوارق يقسمون الأتاكور إلى قسمين أتاكور الأعلى وأهقرين وأتاكور الأسفل تظهر أعلى القمم بها وهي قمة "إلمان 2760م"،الأسكرام2728م" .

*تازوليت: هي امتداد للأتاكور شرقا وسميت بذلك الإسم لإحتوائها على معدن الحديد "تازولي"،التضاريس أقل وعورة وصعوبة من المناطق الأخرى فالوديان واسعة و الإختناقات الصخرية القليلة .

*تفاديست: سلاسل جبلية غرانيتية متجهة من الشمال الغربي لمنطقة الأتاكور،وهي سلسلة ضخمة تأخذ وجهة الشمال الجنوبي حيث تنتشر عدة قمم مشهورة مثل :أودان أو قارة الجنون.

*أمدغور: هضبة رسوبية واسعة تمتد إلى الشمال شرق منطقة تفاديست وهي عبارة عن رق شاسع بدون ماء ولا غطاء نباتي وتظهر به أحيانا روابي غرانيتية المنشأ وهي محصورة بين مناطق الأجيري تروها ،أغشوم وآنهف والطاسيلي . [1]

*الأميدير: هي عبارة عن جبال وسلاسل تمثل امتداد إلى الغرب للطاسيلي ناجر أهم المناطق المعروفة بها هي "تكومبارت"مكونة من ركامات لجلاميد صخرية ضخمة غنية بالنقاط المائية حيث تنتشر بها عدة ينابيع كبريتية .

*تاسيليات الجنوب: تنتشر على هيئة حزام إقليم الهقار وهي عبارة عن مجاميع كتلية من الصخر الرملي الروبي منفصلة فيما بينها بعدة كيلومترات وأهم مثال عنها هو "طاسيلي تيمسا "الذي يمتد على طول 60كلم وعلى عرض 40كلم [2].

– منطقة إجيري تحتوي الكثير من العروق والأحواض .

---

[1] Claud blanguernon :Le hoggar,Arthaud,S.N.E.D,Algérie,Pris1955,p p27-28 .

[2] لخضر بن بوزيد ،المرجع السابق،ص18.

-منطقة لاوني الواقعة جنوب تمنراست لا توجد فيها الكثير من التضاريس .

وهناك جملة من الأنظمة الجبلية التي تكون الهقار وتظهر غير متناسقة في بادئ الأمر ويكتسي الهقار المناخ ذو الطابع الصحراوي وليس هناك غابات والهقار هي منطقة مفظلة بالأمطار ونقاط الماء كثيرة في مناطق جبلية في النواة المركزية والطاسيلي والماء يظهر في منطقة الهقار يتحول تلقائيا إلى الحياة ،والماء هو الحياة هكذا يقولون الطوارق [1].

وتزخر منطقة الهقار بنباتات غريبة ومتباينة منها :النباتات البرية وتتمثل في نبات الجبنة وهي شجرة لا يقل علوها نحو مترين .

طرفاء الرند والأشجار المثمرة مثل: الخوخ والزيتون والرمان والشعير [2].

---

[1] لخضر بن بوزيد،المرجع السابق،ص18.

[2] Claud Blanguernon, op. cit ,p29.

أولا :أصل الطوارق ومواطنهم الأولى :

إن الصحراء الجزائرية كانت آهلة منذ القديم بعناصر بشرية عديدة أهمهم الطوارق التي تقطن منطقة الهقار وجبال التاسيلي ، وهي قبائل عريقة ضاربة بجذورها في أعماق التاريخ حيث مثلت منطقتهم حضارة إنسانية بحكم الموقع الجغرافي الإستراتيجي ، الذي لعب الدور الهام كحلقة وصل بين أجزاء إقليم حوض البحر المتوسط والسودان من جهة واحتكاكه المبكر بالحضارات الأخرى من جهة [1] و تعتبر الرسوم والنقوش الموجودة حتى الآن على الصخور من الآثار الحضارية القديمة لمنطقتي الهقار و التاسيلي ، ولهذا الكثير من الباحثين والمؤرخين اهتموا بدراسة تاريخ المنطقة وأصل سكانها وهذا ما أدى إلى وجود تضارب في الآراء.

أصلهم :

اختلف المؤرخون في أصل الطوارق وكذلك موطنهم الأصلي غير أن المؤرخين والرحالة العرب كانوا أسبق من غيرهم بدراسة قبائل الطوارق والكتابة عنهم ، فقد أشار إليهم "ابن حوقل والبكري والطبري وابن الكلبي" وكذلك حسن الوزان المعروف " ليون الإفريقي"*، الذين كتبوا عن أصولهم وموطنهم و مناطق ترحالهم و عاداتهم و قيمهم الاجتماعية وكان من أوائل المؤرخين العرب عبد الرحمان ابن خلدون في مقدمته المشهورة الذي شرح فيها عن حياتهم الاجتماعية و الاقتصادية و أصولهم و رأى بأن أصولهم عربية و أنهم نزحوا من جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام عن طريق باب المندب واستوطنت بلاد المغرب[2] ، ووصف ابن خلدون الطوارق بأنهم أوفر قبائل البربر ولا يكاد قطر من الأقطار يخلو من

---

[1] عبد السلام بوشارب:الهقار أمجاد وأنجاد،نشر بالمتحف الوطني للمجاهد،الجزائر،1995،ص 13.

* ولد ليون الإفريقي سنة1485 من عائلة هاجرت إلى مينة فاس بعد سقوط غرناطة،واسمه الحقيقي حسن بن محمد الوزاني الغرناطي الفاسي الزياني أنظر محمد السويدي ،بدو التوارق بين الثبات والتغير،ص71.

[2] مجمد السويدي:بدو التوارق بين الثبات والتغير،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،1983،ص ص71-72.

بطن من بطونهم من جبال أو سهل وقد أطلق عليهم صنهاجة الملثمين حيث يصفهم في إشارته قائلا : ".....هذه الطبقة من صنهاجة هم الملثمون ، الموطنون بالفقر ، وراء الرمال الصحراوية بالجنوب ، أبعدوا في المجالات هناك منذ دهور قبل الفتح لا يعرف أولها ، فاصحروا عن الأرياف ، ووجدوا بها المراد، وهجروا التلول وجفونها واعتاضوا عنها بألبان الأنعام ولحومها انتباذا عن العمران واستئناسا بالإنفراد، وتوحشت بالعزعن الغلبة والقهر ، فنزلوا ريف الحبشة جوارا، وصاروا مابين بلاد البربر والسودان ، واتخذوا اللثام تميزا بشعاره بين الأمم ....." [1].

وكان ابن بطوطة قد أسهب في وصف حياتهم وعاداتهم في رحلته عبر الصحراء الكبرى والتي استغرقت خمسة عشر يوما وزار فيها جبال الهقار موطن الطوارق الرئيسي ومما قاله ابن بطوطة : " هم قبيلة من البربر لا تسير القوافل إلا في خفارتهم والمرأة عندهم في ذلك أعظم شأنا من الرجل وهم رحالة لا يقيمون وبيوتهم غريبة الشكل ..... ونسائهم أتم النساء جمالا وأبدعهن صور مع البياض الناصع والسمرة وطعامهن حليب البقر وجريش الذرة "[2].

ويرى كذلك الجغرافي الفرنسي ريمون فيرون أن ابن بطوطة هو أول من ذكر كلمة الهقار وذلك أثناء رحلته عندما ترك جاو متجهنا شمالا حتى بلاد الهقار التي قال بأنها قبيلة بربرية ووصف الطوارق من عدة جوانب وصفا دقيقا حيث قال :".... وشأن هؤلاء القوم عجيب وأمرهم غريب ،فأما رجالهم فلا غيرة لديهم ، ولا ينتسب أحدهم إلى أبيه بل ينتسب لخاله ، ولا يرث الرجل إلا أبناء وذلك شئ ما رأيته في الدنيا إلا عن كفار بلاد المليبار من الهنود . وأما هؤلاء فمنهم مسلمون محافظون على الصلوات وتعلم الفقه و حفظ القرآن ، وأما نسائهم فلا يحتشمن من الرجال ولا يحتجبن مع مواظبتهن على الصلوات ....."[3] و يقول عبد

---

[1] عبد الرحمان بن خلدون:كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ،ج6،دار الكتاب اللبناني،بيروت،1958،ص371.

[2] ابن بطوطة :نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،ج2؛المكتبة التجارية الكبرى،د ب ن،1964،ص194.

[3] محمد السويدي ،المرجع السابق،ص73.

القادر جامي :" إن كلمة الطوارق جمع كلمة الطارقي المفردة ذلك لأن العرب أطلقوا عليهم اسم الطوارق نسبة لقبيلة تارغا* لجدي قبائل البربر القاطنة في الصحراء الممتدة من المحيط إلى غدامس في القرن التاسع الهجري "،كما يسود اعتقاد خاطئ لدى العامة بأن كلمة الطوارق مشتقة من اسم" طارق بن زياد "الفاتح العربي المسلم وبسبب اللبس أن طارقا يعود لأصول بربرية وبدو الطوارق بربر كذلك و الحقيقة أن هذا هو وجه العلاقة الوحيد ، أما كلمة طوارق بالعربية وتنطق محليا "طوارق" فهي مشتقة من تاركة وهو اسم كان يطلق على منطقة فزان بليبيا الآن [1].

كما أن الباحث محمد سعيد القشاط أضاف في إشارته إلى تسمية الطوارق قائلا: "اختلف المؤرخون في تسمية الطوارق بهذا الاسم ولما غاب عنهم مصدر التسمية بدأوا يتكهنون، فمنهم من قال أن سبب تسميتهم بالطوارق لأنهم تركوا طريق الهداية ومنهم من قال سموا بالطوارق نسبة إلى طروقهم الصحراء وتوغلهم فيها" ويقول محمد عبد الرحمان :"ففي غدامس ،مرزق،غات، تمنراست يسمى الطوارق أنفسهم باسم إموهاغ وأصلها "إموزاغ " فسكان المناطق ينطقون "ه" بدل "ز" ففي كبدال و أوزاغ الغربي منحى نهر النيجر يقولون"إموشاغ " وأصلها أيضا إموزاغ فهم ينطقونّ "ز"و"إش" وكتب عن الطوارق أيضا أبوراس الناصري في كتابه "عجائب الأسفار و لطائف الأخبار " في قوله "....إن صنهاجة أهل اللثام المعروفون عندنا بالطوارق مساكنهم بين السودان وبين الرمال التي هي تخوم البربر متصلون بالبحر المحيط في المغرب إلى ساحل النيل بالمشرق"[2].

وكانت جماعات الطوارق تقيم بالصحراء جنوب عين صالح وهم فئات قليلة العدد تنتمي إلى قبيلة "صنهاجة البربرية"ومعاشهم تربية الإبل والماعز مستقلون في مواطنهم مقابل تخليهم عن

---

* تارغا تعني الساقية أو منبع الماء(أنظرإبراهيم العيد بشي ،المرجع السابق،ص62).

[1] إبراهيم العيد بشي،المرجع السابق ،ج4،ص68 .

[2] محمد سعيد القشاط ،المرجع السابق،ص68.

بعض النشاط التجاري في الصحراء ، وكانت أحلاف الهقار مرتبطة بالمفاوضات التجارية في الصحراء الجزائرية [1].

وهناك أسطورة تقول إن " تين هينان" هي أم الطوارق التي قدمت منذ زمن بعيد من منطقة تافيلات الواقعة بالجنوب الشرقي للمغرب الأقصى ممتطية راحلة ناقتها البيضاء وبرفقة خادمها " تاكامات" وعدد من العبيد لتستقر بقافلتها الصغيرة بأبلسة في منطقة الهقار الجبلية الواقعة على نحو ألفي كيلو متر جنوب العاصمة الجزائرية بعد رحلة متعبة ، أين قضت بقية حياتها ودفنت وأقيم لها صرح حول قبرها بذلك المكان " [2].

لثام الطوارق:

وهو من العادات التي يتميز بها الطوارق و هو عبارة عن عمامة توضع بطريقة خاصة حسب طول وعرض معينين لتغطية الرأس والفم تماما بحيث لا تبقى إلا العينان. و اللثام عادة لا يلبسه إلا الرجال الأغنياء والنبلاء عندهم فهو مقدس واللثام حصر على الرجال فالنساء كاشفات الوجه وهذا ما يعطي للطوارق تميز ينفردون عن غيرهم ويطرح السؤال لماذا يتلثم الرجال لا النساء؟ فالواقع أن هناك أقوالا كثيرة حاولت تفسير هذه الظاهرة فمنها من يقول إن ذلك راجع إلى الطارقي لدرء قساوة العوامل الطبيعية من رياح وهواء ساخن أو بارد ولكننا وجدنا النساء لا يضعن اللثام بالرغم من تعرضهن لنفس العوامل ،ثم إن الرجال يتلثمون حتى داخل البيوت ،وهناك من يقول إن للثام قصة أخرى تتمثل في أن العدو أغار عليهم مرة وكان الرجال يواصلون ترحالهم فجاء العدو من بعدهم إلى خيامهم ولم يكن في الخيام إلا النساء و الأطفال ورجل مقعد هرم مسن لكنه حكيم ، فأمر النساء أن يلبسن ملابس الرجال و يتلثمن

---

[1] برنيان أندري –أندري نوشي :الجزائر بين الماضي والحاضر، تر اسطمبولي رابح ومنصف عاشور ،ديوان المطبوعات الجامعية ،1984،ص384.

[2] حصة تلفزيونية:تين هنينان بين الأسطورة و الواقع ،youtub.com/wath ?v1hjgrbvef8g , www،15 أفريل 2014 ،ع س 54 :12.

بالعمائم إخفاء لأنوثتهن وعندما فعلن ذلك ووقفن وجها لوجه العدو وبأيديهن السيوف والفؤوس ظهر رجالهن فجأة وهاجموا العدو من الخلف وانهزم العدو وانتصر الطوارق ومنذ ذلك اليوم آل الطوارق على أنفسهم ألا يميطوا اللثام عن وجوههم تخليدا لهذه الذكرى تكريما لنضال المرأة الطارقية [1].

موطنهم:

ينتشر الطوارق في الصحراء الكبرى ما بين حدود جمهورية مالي الشمالية والغربية مع موريتانيا إلى حدود السودان مرورا بشمال مالي وشمال النيجر وشمال التشاد وجنوب غربي ليبيا وجنوب شرقي الجزائر،ويقول الأستاذ "محمد عبد الرحمان عبد اللطيف"وهو من مثقفي طوارق النيجر "ويتكون موطن الطوارق من الواحات والوديان التي تشق جبال الطاسيلي (غات وجانيت) و الهقار (تمنراست) و آيير(اقدز) وأضغاغ(كيدال)،إلا أن الجزء الأكبر من الطوارق يعيش في منطقة السهول والمراعي الفسيحة التي تسمى باسم (أزواغ) الممتدة من أعالي نهر السينغال غربا إلى بحيرة التشاد شرقا ومن أطراف المناطق الرملية إلى غابات السافانا جنوبا،ولم يكن هذا موطن الطوارق الأصلي فقد تزحزح الطوارق من الشمال إلى الجنوب موغلين في الصحراء إما هربا من الجيوش التي كانت تهاجم الشمال وإما اندفاعا نحو إفريقيا لنشر الإسلام والاستيلاء على المماليك والسيطرة عليها وهكذا ترك الطوارق موطنهم في الشمال موغلين في الجنوب تاركين آثارهم " [2].

كما يشير إبراهيم العيد بشي: (لقد انتشر الطوارق على امتداد صحراء شاسعة تقاس بآلاف الأميال ابتداءا من مدينة غدامس الجنوبية،ويتواصل ذلك الانتشار في اتجاه الجنوب الغربي حتى واحات توات كما أنهم ينتشرون في منطقة الجنوب الشرقي إلى غاية واحات فزان وواحة

---

[1] إبراهيم العيد بشي ،المرجع السابق،ج4،ص68.

[2] محمد سعيد القشاط ،المرجع السابق،17.

غات إلى الغرب من فزان كما يسيطرون سيطرة تامة على منطقة الجنوب الغربي على طول الطريق الرابط بين غات وتمبكتو ،والطوارق يتجمعن بكثرة في التجمعات السكانية مثل "آهير"ويشير غارديل إلى هؤلاء قائلا:(الظاهر أن الطوارق هم مزيج لأكبر جنس بربري ولهم ارتباط وثيق بقسم بربر شمال افريقيا الشرقية خاصة مصر .....) ، [1] ويتواجد الطوارق في منطقة تمنراست "اليزي" التي تقع في جنوب شرق الجزائر وشمال جبال التاسيلي ويقطنها طوارق "الأزقر"وكما هم في منطقة "توات"التي تقع في الجنوب الغربي من الصحراء وتبعد عن العاصمة بحوالي 1500 كلم و هي عبارة إقليم واسع ينزل من الجنوب مع "وادي الساورة " الذي يطلق طريق النخيل حتى معبر سبخة المحترفين في وسط الصحراء ، ويأخذ اتساعه من جهة الشرق في مسافات واسعة ، ويسكن الطوارق مناطق شاسعة من الصحراء الكبرى ويعود نسبهم إلى عدة قبائل رحل ومع أنهم بعيدين عن القسوة إلا أنهم إذا تعرضوا للهجوم فليس لديهم سوى الموت بديلا عن الدفاع [2]، منه يمكن تقسيم الطوارق الذين لا يزالون الصحراء إلى ثلاث أقسام حسب المناطق الجغرافية وهي :

-طوارق جبال التاسيلي آجر بالجزائر وقد انقرضوا تقريبا .
- طوارق جبال الهقار بالجزائر أيضا .
-طوارق جبال أدرار ،إفوغاس بجمهورية مالي [3].

رغم اختلاف الآراء حول الطوارق في أصلهم و موطنهم إلا أنه تبين أنهم من عائلات بربرية كقبيلة صنهاجة الذين نزحوا من جنوب الجزيرة العربية هم أجداد الطوارق وانتشروا في أطراف الصحراء و أصبح اسم الطوارق هو الاسم المقرون بالصحراء .

---

[1] إبراهيم العيد بشي ،المرجع السابق،ج3،ص24.

[2] النقيب ع.ف.لايون ،مدخل إلى الصحراء ،تر الدكتور الهادي أبو لقمة ،منشورات جامعة قاريونسن،بنغازي،1993 ،ص83.

[3] محمد السويدي ،المرجع السابق،ص76.

ثانيا: النظام السياسي للطوارق .

يبدو من خلال الإشارات التاريخية أن الطوارق لم يكن لهم نظام سياسي قائم بذاته ،ولم تقم لهم أية دولة متعارف عليها كغيرها من الدول إذا ما استثنينا دولة المرابطين (الملثمين)التي قامت في القرن الثاني الهجري- العاشر الميلادي إلى القرن السابع الهجري –الخامس عشر الميلادي وكان الطوارق يمثلون جزءا كبيرا من جنودها وكل قيادتها السياسية والعسكرية حيث التحم معهم أغلب سكان الصحراء والتي تتكون من قبائل طارقية وعربية وكذلك قبائل المغرب العربي ، غير أنا الطوارق في صحرائهم جعلوا لأنفسهم نظاما سياسيا تعارفوا عليه وحافظوا على نواميسه واحترموا فيما بينهم على مدى التاريخ وإذا ما حاول أحدهم المساس بهذا النظام و الخروج عنه قاموا إليه وأرجعوه إليه بالقوة وأسمى الطوارق مناطقهم بسلطنات يرأسها سلطان يختارونه من بينهم وتقسم منطقة الطوارق إلى سبع سلطنات نذكر منها:

-1- سلطنة آزقر :وتقع في سهول ووديان وواحات جبال الطاسيلي وتمتد من غدامس ومرزق في ليبيا إلى جانب اليزي في الجنوب الشرقي الجزائري وتتخذ من مدينة غات في جنوب غرب ليبيا وتتكون من عدة قبائل منها (أوراغن*،إفوغاس**،إمنان،كيل ولي)وليس لهذه القبائل أراض محددة بل تتداخل فيما بينها مع قبائل عربية في المنطقة .

-2-سلطنة الهقار :وتشترك سلطنة الهقار في حدودها الشرقية مع سلطنة آزقر وتتخذ من مدينة تمنراست مركز لها وتتكون من عدة قبائل منها (كيل أغلا،تيطوق،تاغت) [1].

---

* أوراغن :قبيلة طارقية من أصول عربية تقطن منطقة التاسيلي ناجر و تنقسم إلى عدة قبائل فرعية و كانت لها سلطنة قامت منذ عهد الحاج محمد إخنوخن أمين العقال .(أنظر إبراهيم العيد بشي،المرجع السابق ،ج3،ص62).

** إفوغاس قبيلة أصلها عربي يرجع نسبها إلى الحسن بن علي كرم الله وجهه،وكلمة إفوغاس بلهجة الطوارق تعني "أشعل النار" وقد وقف رجالها ضد التغلغل التجسسي الفرنسي منذ 1845-1962

[1] محمد سعيد القشاط،المرجع السابق،ص39.

-3-سلطنة والليمدن كل أطرام :والليمدن أهل الغرب هذا معنى التسمية وتحتل هذه السلطنة منطقة أزواغ* الغربي ومنحنى نهر النيجر ويحدها من جهة الغرب إقليم ولاته في بلاد شنقيط (موريتانيا الحالية)ومن الشرق تتداخل مع شقيقتها سلطنة تكريقريت من الشمال يحدها تيزي "تنزروفت"اتجاه سلطنة الهقار ومن الجنوب تحدها بلاد مالنكي وتشمل هذه السلطنة عدد كبير من القبائل تتشكل في إمارات كبرى أهمها :

- إمارة كل انتصر :في غرب وجنوب تينبكتو.
- إمارة تتكريقيف:في منحى نهر النيجر .
- إمارة كونته:وهي إمارة عربية حول مدينة(قاو).
- إمارة إفوغاس :في أضغاغ أو أدرار حول جبال إفوغاس.

وأهم القبائل التي تتشكل منها هذه السلطنة :كل إهار،كل تهينات،إلوغمان،أولدن،إمغرن.

-4-سلطنة تمزقدا :كانت هذه السلطنة من أقوى السلطنات التارقية إذ أنها تحتل أراضي خصبة تنزل بها الأمطار وتتحكم في طرق القوافل القادمة من وإلى ليبيا وبلاد الهوسا وكذلك مصر ،كما ترتبط بعلاقات تجارية مع شعوب بحيرة تشاد ومملكة كانم وقبائل التبو وتتكون من عدة قبائل أهمها "الشر يفن"وهم ينتسبون للأشراف بني هاشم ، كل فروان ،إيفدين ،إقدالن، إزمايان[1].

* أزواغ معناها الصحراء و يسميها العرب أزواد

[1] محمد سعيد القشاط،المرجع السابق،ص ص41-42.

أما بالنسبة لنظام الحكم في سلطنات الطوارق يتمثل في:منصب السلطان ويسمى بالأمنوكال وشيخ القبيلة ويسمى أمغار ومنصب الإمام .

– السلطان :يتولى هذا المنصب شيخ أقوى قبيلة من القبائل التي تشكل الإتحاد والسلطنة ويسمى "أمنوكال " *أيا القائد الأعلى للبلاد ويساعده في حكمه مجموعة من الأتابال أي رؤساء القبائل و هؤلاء تكون تحت إمرته مجموعة من الشيوخ القبائل ،ويتولى الحكم بعد السلطان ابن أخته وهو وريثه في الحكم فلا يتولاه إخوته أو أبناؤه [1] ويرى الطوراق في ذلك ابن الأخت يجري في عروقه الدم النقي الواضح لسلالة السلطان أكثر من الإخوة والأبناء ووظائف الرئيس السياسي والرئيس العسكري فهو الذي يتقلدها (بالأمنوكال) يساعده في ذلك أمغار أنغامنا (القائد العسكري) ،ويقوم بتدريب الشباب على الأسلحة المتنوعة كالسيف والرمح وغيرهما ويتم اختيار الأمنوكال وفق معايير وميزات خاصة لا بد من توفرها تختبر فيها شخصية المرشح وسيرته على ثلاث أبعاد السياسية الأخلاقية و الثقافية والجسمانية .

السياسية : وهي الأهم فلابد أن تكون له حنكة سياسية شعبية ومساندة وتزكية العصبيات الأخرى ويكون مطلقا على الشؤون السياسية للطبل بصفة جيدة .

الأخلاقية:كحسن السيرة والشجاعة ،البسالة والحكمة ،الصبر و الكرم و الإحترام والثقافة .

الجسمانية :القوة وسلامة الأعضاء والنضج،غالبا ما يشترط سن الثلاثين ولا بد من ثقة متبادلة وروابط بين أمنوكال وشعبه [2].

---

* الأمنوكال هوسيد البلد أو سيد الأرض(أنظر مرموري حسن،المرجع السابق،ص171).

[1] محمد سعيد القشاط،المرجع السابق،ص43.

[2] مرموري حسن،المرجع السابق، ص174.

شيخ القبيلة "أمغار"**:ويقول محمد عبد الرحمان عبد اللطيف في هذا الصدد:"إلى جانب السلطان يوجد شيخ على رأس قبيلة يتولى الإشراف على شؤون قبيلته ويمثلها في الاجتماعات العامة ليحمي مصالحها و يجمع منها حصتها بالأموال المطلوبة لخزانة السلطنة أو لتمويل الحرب ويقود رجال قبيلته في حالة الحرب أو الغارة على إحدى الجهات المعادية و يأتي بعد السلطان شيخ القبيلة شخصية دينية مرموقة وهي شخصية الإمام.

الإمام: بعد انتشار الإسلام بين بدو الطوارق استحدثوا هذا المنصب وفي العادة يتولاه أحد الفقهاء المتطلعين في الدين الإسلامي مهمته إرشاد السلطان وتنويرها في مسائل الدين الحنيف ،كما يشرف على القضاء ويصادق عليه أحكام القضاة و يعتني بأمور التعليم والمساجد وحل النزاعات لخصوصيات القبيلة [1].

أما بالنسبة للمجلس العام فيتكون من جميع شيوخ القبائل المتمثلين في السلطنة يجتمعون بدعوة من الأمنوكال حيث تعرض عليهم الأمور المهمة ويقرون الحرب والسلم وإرسال القوافل و حمايتها،كما يعملون على تعيين أو عزل الأمنوكال،لحد قريب عاشت قبائل الهقار في اتحادات قبلية تخضع في ولائها وله الرأي في جميع الشؤون التي تعرض عليه ،وليس لأي من رؤساء القبائل اعتراض على تصرفه وهو بعبارة أخرى سلطان أو هيئة تنفيذية فالناس يدينون له بالطاعة والولاء وللإشارة فإن منصب أمين العقال كان يرجع دائما إلى القبائل ذات السيادة و الترشيح إليه يتم عادة من طريق الانتساب الوراثي إلى الأم" [2]

ومن التقاليد المجسدة لولاء القبائل للأمينوكال ما كان يقدمه زوار الدغمولي (الولي الصالح) سنويا من شبه ضريبة على كمية الملح التي يستخرجونها من السبخة ليبيعونها في بلاد

** أمغار :يطلق في الغالب على كبير السن (الأب،الجد)،وهو يتوسط بين قبيلته و الأمنوكال ويأخذ حصة قبيلته من الغنيمة أو الضرائب سواء كانت له أ م عليه(أنظر حسن مرموري ،المرجع السابق،ص178.)

[1] محمد سعيد القشاط،المرجع السابق،ص44.

[2] محمد سعيد القشاط ،المرجع السابق، ص45.

السودان هذا و قد تعاقب على منطقة الهقار أمناء عقال سموا أيضا بالسلاطين نذكر منهم مايلي:

أول أمينوكال هو غالا ومنه جاءت تسمية قبيلة كل غالا(كل تعني:أهل ،بنو،أولاد)وتعاقب من بعده سلاطين أحدث من عرفوا منهم هم :

-"سيدي آق محمد الخير".

-"يونس آق سيدي ".

-"آ ق مامة آق سيدي (1790-1830) .

-الحاج أحمد آق محمد البكري (1830-1871).

-أهيتاغل آق محمد بسكه (1877-1900) .

-محمد آق أرزيق (1900-1901).

-آتسي آق ملال(1901-1902).

-موسى آق أمستان (1902-1921) [1].

ويعتبر الطبل عند الطوارق رمز السيادة والطبل هوالطريقة التي يستطيع بها الأمنوكال إسماع أوامره المرؤوسة في مختلف القبائل، إذ أن صوت طبل الأمينوكال تتبعه أصوات طبول رؤساء القبائل الأخرى بنفس الأمر أن يصل الأمر إلى أسماع أقاصي القبيلة في السلطنة

[1] عبد السلام بوشارب،المرجع السابق،ص77.

ثالثا :الحياة الاجتماعية و الثقافية للمجتمع الطارقي .

أولا:الحياة الاجتماعية:

يتميز مجتمع الصحراء الكبرى عموما والطوارق خصوصا بوجود فوارق طبقية متباينة ومتمايزة بدرجة أن التزاوج لا يتم في أغلب الأحيان بين طبقة وطبقة أخرى وأهم طبقات المجتمع الطارقي كالتالي:

1- طبقة النبلاء :وهذه الطبقة تتكون من أولئك الذين يتمسكون بالعادات والتقاليد الطارقية العريقة والذين يبرزون أنفسهم ويفرضون شخصيتهم على الآخرين ويكون السلطان و شيخ القبيلة من هذه الطبقة"النبلاء"ومنهم (إماجغن ،إماشاغ ،إموهاغ) ويقول محمد عبد الرحمان عبد اللطيف"و أصحاب طبقة النبلاء لا يقومون بأي نشاط خاص،ولا يهتمون بالتعليم ولا بأي نوع من الثقافة وإنما يقتصر نشاطهم على دعوى سيطرتهم على الطبقات الأخرى ونهب ممتلكاتها كلما سمحت الفرصة بذلك وبكل الوسائل بم في ذلك العنف والخداع [1].

2- طبقة الأمغاد:وقد تكونت هذه الطبقة من الأسر والعشائر التي لم تساعدها الظروف على التمسك بالعادات والتقاليد الطارقية ولم تكن هذه الطبقة طامحة للسلطة يكفيها الحصول على السماح لها بالاستضافة ورعي مواشيها، وأفراد هذه الطبقة محاربون أشداء ويتخذ منهم السلاطين جل جيوشهم ويقتصر عملهم على حرفة الصيد خدمة لأسيادهم (النبلاء) ويأخذ السلاطين مرافقين لخدمتهم ،كما تأخذ نساء النبلاء مساعدات وصديقات من نساء رعاياهم التابعين لهم [2].

---

[1] محمد سعيد القشاط،المرجع السابق،ص66.

[2] إبراهيم العيد بشي،المرجع السابق ، ج3، ص82.

– 3– طبقة الفقهاء:تكونت هذه الطبقة من مجموعات من الأفراد تفقهوا في الدين وتفرغوا له وتولوا عملية نشره بين الطوارق وأفراد هذه الطبقة في العادة لا يحملون و يلجئون دائما إلى حمى طبقة النبلاء التي تتولى الدفاع عنهم و حمايتهم .

–4– الحدادون :هذه الطبقة تحتكر الصناعات التقليدية وهي التي تصنع كل لوازم الحياة في الصحراء كالمواد المنزلية مثل القصاع و الأواني إضافة لصنع الخيمة من الجلد و أوتادها و رواحل الإبل كما يصنعون آلات الحرب الدرع ،الرماح ،السيوف والحلي للنساء والرجال وامتازت هذه الصناعة بدرجة عالية من الإتقان والجمال والنقوش وكل مجموعة من الحدادين أو الحرفيين يتبعون قبيلة من قبائل صحراء الطوارق أو غيرهم أو ينتسبون إليهم [1].

وتعتبر الأسرة هي الخلية الصغرى في مجتمع الطوارق وفي المجتمعات القبلية بصفة عامة وتسمى الأسرة عند الطوارق "إيهن" أي الخيمة وتتكون الأسرة من الأب والأم والأولاد وعدد من الخدم حسب مكانة رب الأسرة وتأتي بعد الأسرة العائلة أو العشيرة وتسمى عند الطوارق "كيل إيهن" والقبيلة تسمى "توشيت"وتتكون من مجموعة من الأحياء التي تنتمي إليها وتجتمع مجموعات القبائل في المنطقة تحت لواء سلطنة واحدة [2].

أما فيما يخص ملابس الطوارق في القديم تتكون من قمصان مصنوعة من الجلود تنزل إلى ما تحت الركبة وحواشيها مزينة بالزخارف وهذا القميص قد استمر حتى أوائل القرن التاسع عشر ،لكن حاليا يلبس رجال الطوارق سراويل فضفاضة سوداء أو ذات لون أزرق غامق مصنوعة من القطن تنزل حتى الركبة وطرفي الرجلين حتى العقب وفوقه قميص واسع من القطن حلت محله القندورة ،كما أن المرأة تتميز عن باقي النسوة في كثير من الأمور أهمها اللباس التقليدي الذي ترتديه والمعروف عن أهل المنطقة "التسغنس"وهو عبارة قطعة واحدة من

---

[1] محمد سعيد القشاط،المرجع السابق،ص70.

[2] إبراهيم العيد بشي،المرجع السابق ،ج3 ، ص82.

القماش يترواح طولها بين ثلاثة إلى أربعة أمتار وعرضه متران تلفه حول جسمها ليغطيها من أطراف قدميها إلى رأسها ،ولا قيمة للذهب عند الطوارق مقابل الفضة التي تعتبر مهر المرأة وزينتها فالحلي الفضية المصنوعة محليا تستمد أشكالها من طبيعة المنطقة كجبال الهقار و جبال الطاسيلي ناجر وقد تحمل أشكالا أخرى تعبر عن ثقافة وتقاليد المجتمع الطارقي [1].

والمرأة في المجتمع الطارقي هي المسؤولة على حفاظ شرف العائلة وتقاليدها وعاداتها سواء تعلق الأمر بمواساة الجار والمعوزين لهذا فهي تتمتع بمقام عال في المجتمع وتتميز بالحرية، حيث اندهش ابن بطوطة من الحرية التي منحها الطوارق لنسائهم معتمدا على واقعة حدثت مع أحد أصدقائه وليس نتيجة لتعدد ملاحظاته ثم خروجه بنتيجة عن الظاهرة .

وإن حرية المرأة الطارقية مكفولة من طرف المجتمع قبل الزواج ، فالطارقي لا تسيطر عليه فكرة التفوق على المرأة قبل زواجه ، فالفتاة تتمتع بجميع المزايا التي يتمتع بها الشاب ولهذا يلاحظ أن مستوى تعليمها متقدم على الشاب إذ منذ صغرها تهتم بها والدتها بحيث تعلمها تفصيل الملابس وترقيعها ،وتصنيع شعر الماعز و الجلود وطريقة إقامة الخيمة وفكها

وطريقة التزين للنساء كما تعلمها حروف "التيفناغ"و قراءة القرآن ، ومن أهم الأشياء التي تتعلمها الفتاة الطارقية من أمها وتعتبر أهم ذات أهمية في مجتمعها العزف على آلة "الامزاد"الموسيقية ،ويعود نسب الأبناء عند الطوارق إلى الأم بصرف النظر عن الطبقة التي ينتمي إليها الأب ولذلك يخلف رئيس القبيلة ابن أخته وليس ولده [2].

أما بالنسبة للرجل الطارقي لا يحق له الزواج أكثر من امرأة واحدة وإذا أراد أن يتزوج فيطلق الأولى وعادة ما يتزوج في سن متأخرة وعندما يشعر بأنه في حاجة لتكوين الأسرة يكلف أحد من أسرته أو أقاربه للقيام بمهمة الخطبة وإذا كان والد العريس هو الخاطب فإنه يقول "إنني

---

[1] إسماعيل العربي،المرجع السابق،ص116.

[2] إبراهيم العيد بشي،المرجع السابق ،ج4 ، ص94.

أريد خيمة وحصيرا لولدي ،فيفهم والد الفتاة إن المقصود هو طلب يد ابنته وعند الموافقة ،تبدأ المفاوضات على المهر والهدايا حسب العرف المتبع في كل قبيلة ،فمثلا مهر فتاة من"الكل غلا"(النبيلة) يتكون من سبع أنياق،وإن كانت الفتاة من "الدج غالي"(الأتباع) فمهرها ثلاث،وإن كانت من باقي قبائل الامزاد فمهرها ناقة واحدة وبعض الرؤوس من الشياه ،أما الخيمة فالزوج هو الذي يعدها.

أما فيما يخص تربية الأبناء عند بدو الطوارق يبدأ الطفل حياته في الخيمة ويطلق على الطفل اسم"آرا"وهو اسم يطلق على أي "خلفة" من أي جنس ،إذ يرى "هنري لوت" أن عادات الطوارق في تسمية الأطفال تشبه عادات الهنود الحمر الذين يعتقدون في كثير من المظاهر والحوادث الطبيعية التي ترافق ازدياد المولود،فكثير من أطفال الطوارق يتسمون بأسماء لمظاهر طبيعية أو لحيوانات ،إذ لو صادف ميلاد طفلة سقوط "البرد"فإنها تسمى "تيديجريس" أي البرد وإن مر حيوان في لحظة الميلاد فإن الطفلة تسمى باسمه مثل"الغزال–تاهينكات" أو "النمر–أنابة "أو "الجربوع–أكوتي" إلى غير ذلك من الأسماء ، ولكن تأثير الثقافة العربية الإسلامية انتشرت الأسماء العربية مثل "الصديق ولد المصطفى" و"أحمد ولد محمد" و"أحمد باه ولد أحمد" وفي سن الفطام ،يطلق على الطفل "أمغول" [1]،وعندما يبلغ السادسة عشرة من العمر ، يبدأ في ارتداء اللثام بصفة دائمة وتقام له بهذه المناسبة حفلة خاصة يتلقى فيها بعض الهدايا في مقدمتها خنجر ولثام أزرق وبهذا يصبح من حقه أن يحضر حفلات"الأهال" و"التندي" وأن يشارك في مجلس الرجال [2].

---

[1] محمد السويدي،المرجع السابق،ص100.

[2] إبراهيم العيد بشي،المرجع السابق ،ج3،ص67.

و يعتبر ارتداء اللثام مرحلة انتقال من عالم الطفولة والمسؤولية إلى عالم الرجولة بما فيهاأتعاب وتحرك عبر الصحراء لأن بدو الطوارق كمجتمع تقليدي يحدد لأفراده فترة للانتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة المراهقة إلى البلوغ [1]

ثانيا:الحياة الثقافية

2-1:العلوم والآداب عند الطوارق :

من المعروف أن العلوم و الفنون و الآداب هي وليدة البيئة التي تتواجد فيها ،فالبيئة الصحراوية كان لها آثار واضحة على سكانها وهذا ما نجده في الهقار ،كما يزخر التراث الطارقي بأشعار و قصص تناولت البيئة الصحراوية ووصفها وصفا دقيقا و قد حفظ الرجل الطارقي المتون الفقهية والمنظومات القصائدية و منظومات النحو والصرف و السيرة والعقيدة ، وكان الأدب الشعبي يعتمد على الذاكرة و على التناقل في السماع[2]،أي أدب شفوي ينقل من جيل إلى جيل بالمشافهة وينقله الكبار للصغار بالحديث والسمر وإن كان شعرا أو قصصا يتسمعه الصغار في مجالس آبائهم أو أمثالا تقال حسب مكانتها وللطوارق آداب في شتى صورها شعرا و نثرا ،قصصا ومسرحيات صغيرة فمثال عن الشعر النظم الطارقي :

نيكيدي إييفاوت سيدوفي يارات.

فوات أبادي سي سريرات.

التعريب:

سرنا للدويرات للغزو .

قطعنا الفيافي و طرق الصحاري .

---

[1]claud blangerenon,op.cit,p96.

[2] عبد السلام بوشارب،المرجع السابق ،ص57.

وللطوارق أدب نثري قوامه القصص التاريخية و تاريخ البطولات والأساطير الشعبية عن العفاريت والجن.

أما بالنسبة للغة الطوارق تعرف ب"التماشق" وهي اللغة البربرية و حروفها مثل التيفيناغ و تحتوي على اثنين وعشرين حرفا ولهذا يضطر الطوارق لتركيب حرفين لإعطائهم حرفا آخر غير موجود في أبجديتهم وتكتب الحروف من اليمين إلى اليسار أما إذا أراد الطارقي أن يتناول موضوعا مهما ويرسله إلى شخص آخر بعيد ويتوقع أن تقع رسالته في يد الأعداء فإنه يضطر إلى الكتابة في كل الإتجاهات وهنا يستغرق فك رموز الرسالة الواحدة عدة أيام ولغة الطوارق تجد بها الكثير من الكلمات العربية الفصحى و لنضرب لذلك مثلا :فالطارقي إذا قال لك" اسرع في السير" قال لك "اركض " وهي كلمة عربية صحيحة وإذا قال لك "إنه يبحث عن فكرة ما في موضوع ما" ، قال" الدبارة "،أما سلام الطوارق هو سلام عربي "السلام عليكم"و إسلان معناها أسألك عن حالك [1].

ويضيف الباحث أبو القاسم سعد الله في هذا الصدد قائلا:" ثم توالت الرحلات و الاهتمامات باللهجات البربرية وحالة سكان الصحراء في الجنوب ، فكانت رحلة إسماعيل بوضربة إلى غات 1858 ثم رحلة هنري دوفيرييه إلى غات وغدامس وترك لنا هذا الأخير معلومات هامة عن لهجات الناحية والأبجدية المستعملة ومن أفواه سكان الناحية و علمائها ، ونعلم أن اللهجة كانت تسمى "التماشق" أو التماهق حسب الأمكنة وأن العرب قد أطلقوا عليها اللهجة الطارقية نسبة إلى المتكلمين و هم الطوارق وبناءا على دوفيريه فإن لهجة جنوب الهقار تسمى التماشق و لهجة شماله تسمى التماهق وأن النساء هن اللائي كن يعرفن القراءة والكتابة بهذه الحروف أما الرجال فلا يتجاوز الذين يعرفونها الثلث [2].

---

[1] جورج غيرستر ،الصحراء الكبرى،تع خيري حماد،المكتب التجاري،بيروت،لبنان،د س ن،ص58.

[2] أبو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي(1830-1954)،ج8،دار الغرب الإسلامي،بيروت ، لبنان،1998،ص36.

-2- الحضارة و الفنون عند الطوارق :

مما لا شك فيه أن حضارة أي مجتمع تكمن في الآثار التي تدل عليها و تتجلى حضارة الطوارق في الآثار القيمة والوثائق التاريخية و تجسدت حضارة المنطقة فيما يلي:

-الرسوم و الصور :في منطقة الطاسيلي وجدت الرسوم والصور المنقوشة التي تصور لنا الحياة اليومية التي كان يعيشها السكان برسومات رائعة الأشكال و محكمة التخطيط و هذا ما يدل على الفن الحضاري لهذه المنطقة .

-فن النحت : و يعتبر مظهر من المظاهر الحضارية لأي كيان اجتماعي فهو يعالج مواضيع مختلفة ومنطقة الهقار تزخر بنماذج ثرية لفن النحت ، سواء ما عبر عنه داخل الكهوف أو خارجها و تعود جذور الفن إلى عهود قديمة مقارنة مع الفنون المصرية والإسبانية ، وكان هناك تأثير فيما بينهم و هذا يدل على أن المنطقة كانت مركزا لمرور القوافل التجارية .

-الفنون الحرفية : نجد أن الطوارق صنعوا "الدرق"وهو عبارة عن درع يستعمل في الحرب وهو في غابة الصلابة والجودة ،وكان يصنع من جلود الوحوش إضافة إلى الخشب والحديد وإذا نظرنا إلى خيامهم نجدها مصنوعة من جلود الماعز والأبقار والسروج و الأواني مصنوعة من الخشب [1].

[1] عبد السلام بوشارب،المرجع السابق،ص61.

2-3الفنون والثقافة :

الغناء عند الطوارق كالأكل و الشرب لا يستغنون ولا يقلعون عنه، فالطارقي يغني في بيته وفي طريقه لجلب الماء ، وفي صحرائه يمتطي ظهر جمله والمرأة تغني في المناسبات ، فلذلك فهم مولعون بالموسيقى و الغناء والرقص و يتخذون آلات موسيقية من صنعهم وهم يطلقون على ألوانهم الغنائية تسميات إما مشتقة من الآلة الموسيقية أو تحمل رقصة أو قصيدة وتقسم الموسيقى إلى نوعين : الموسيقى الغنائية الجماعية إما أن تكون مرفقة بطبل أو بدونه والتي ترتبط مباشرة بالحفل

الموسيقى الآلية أو الإيقاعية والمتمثلة في" الإمزاد" و الناي " تزامارت".ومن بين الآلات الموسيقية [1].

-الإمزاد:وتعتبر من أجود الآلات الموسيقية وهي شديدة التأثير على الطوارق ولا سيما الرجال و تستعمل في الطرب و الغناء الذي يؤثر في النفوس والعواطف .

-التندي:تصنع هذه الآلة من حطب "الأثل "ومن جلد الماعز ويعتبر هذا النوع من الغنى الموافق للموسيقى والرقص أكثر الفنون الموسيقية تنوعا وطربا لدى الطوارق .

-تهيقالت:وهي آلة خفيفة على شكل دائري مصنوعة من الخشب و جلد الماعز تستعملها عادة النساء في الأغاني الدينية.

-أسوات :هي رقصة يؤديها الشباب تحت أهازيج النساء بدون آلات موسيقية في حركات منسجمة [2].(أنظر الملحق رقم 2 يوضح عادات وتقاليد الطوارق).

---

[1] مريم سبابو: دور الغناء و الموسيقى في تشكيل الهويات الاجتماعية عند طوارق الآزجر،مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه ،قسم العلوم الاجتماعية ،جامعة بن يوسف بن خدة ،الجزائر،2007-2008 ،ص145.

[2] عبد السلام بوشارب،المرجع السابق،ص63.

رابعا :النشاط الاقتصادي لمجتمع الطوارق :

إن منطقة الهقار تسيطر فيها البيئة الطبيعية سيطرة تكاد تكون كاملة، نجد أن التنظيم الاجتماعي القبلي يعتبر عاملا أساسيا في تنظيم الحياة الاقتصادية في إطار النسق الإيكولوجي (من إنتاج واستهلاك وتوزيع ...إلخ)، وذلك أن نظام ملكية الأراضي في هذه المنطقة مرتبط ارتباطا قويا بالنظام القبلي لبدو الطوارق ،وهناك عدد من الطوارق يمتلكون مراكز زراعية بها "فجارات" أو آبار يستخدمون فيها الحرطانيين لزراعتها كما أن عدد كبيرا من الوحدات القرابية تستخدم الإبل في النقل و التجارة أو لحراسة معابر الصحراء أثناء مرور القوافل سواء للإغارة عليها أو لحمايتها ولهذا يتطلب دراسة مختلف أوجه النشاط الاقتصادي في المجتمع التقليدي الطارقي والتي تتمثل في الإغارة والنهب والرعي والترحال وتجارة القوافل والتبادل ثم النشاط الزراعي .

الإغارة والسلب: تمثل الإغارة عند أغلب قبائل الطوارق جزءا من الحياة الإقتصادية البدوية التي يشنها المحاربون على قبائل بعيدة عن موطنهم خصوصا في فترات القحط و المجاعات التي تتعرض لها الصحراء و تنقسم الغارات الصحراوية إلى قسمين هما:الغارة القصيرة المدى و الغارة البعيدة المدى ،حيث أن الطوارق يقومون بخطف مواشي القبائل المجاورة و أحيانا حتى أفراد القبيلة حيث يستعبدونهم و يستغلونهم[1].

ولسيطرة الطوارق على طرق القوافل وقفوا حائلا و لسنين طويلة ضد الرحلات الأوروبية الاستكشافية للمنطقة والتي مهدت لسيطرة الاستعمار الحديث متخذا الطرق نفسها التي سارت فيها بعثاته [2].

---

[1] محمد السويدي ،المرجع السابق،ص ص82-83.

[2] محمد سعيد القشاط،المرجع السابق،ص76.

الرعي والترحال:

يعتبر الرعي الوسيلة الأولى لكسب القوت عند طوارق الهقار إذ يرحلون في فصول السنة المختلفة من منطقة لأخرى ،سواء داخل منطقة الهقار أو نحو البلاد المجاورة (مالي والنيجر) ويشتغل الطوارق بتربية الحيوانات و خاصة الإبل والماعز وأنواع من الضأن تخص المنطقة و يتخذوا من ألبان الإبل والبقر طعامهم الرئيسي و كذلك من لحومها ، أما في سنوات الجفاف و القحط فترسل النوق (جمع ناقة) إلى تامسنه (في الشمال الغربي من جمهورية النيجر)التي تتوفر فيها المراعي الدائمة الخضرة لتأثرها بمناخ المناطق الاستوائية ، وعندما تسقط الأمطار في الهقار و تخضر المراعي تعود الإبل إلى موطنها[1].

وقد يبدو ظاهريا أن الطوارق يستقرون في السنوات الممطرة لكن الواقع أن مخيماتهم لا تتوقف عن الترحال وتغيير أماكنها خصوصا في بداية اخضرار المراعي ،لأن الطوارق يرون أن كثرة الانتقال هي " أحسن طريقة تسمح للأعشاب بالنمو والازدهار"[2].

و عليه يشكل سكان منطقة الهقار خليطا من عناصر بشرية عديدة ذات أصول من الساحل الإفريقي و شمال إفريقيا وشمال إفريقيا و هي ظاهرة تبين مدى الاحتكاك و على هذا الأساس يمكن تمييز نمطين للحياة في الهقار هما :

– نمط حياة البداوة :ويمثلها "الايموهار" الذين تقوم حياتهم على الرعي و تجارة القوافل بين الهقار وبلاد الساحل الإفريقي ، وتيديكلت و توات في الشمال وقد اتخذ الايموهار تلبية لحاجاتهم الاقتصادية و الاجتماعية نظام الرق (الخدم) ، وهو نظام قديم في مجتمع الطوارق يرجعه البعض غلى بداية الغزو البرتغالي لشواطئ غرب إفريقيا و قد استمر نظام الرق عند الطوارق حتى الستينات من القرن العشرين فقد كتب " الأب دي فوكو " سنة 1913 : يوجد

---

[1] محمد السويدي ،المرجع السابق،ص 83.

[2]claud blangurenon,op. cit,p96.

عموما حوالي ستة آلاف نسمة من كيل الهقار الذين يمتلكون حوالي ثلاثة آلاف من الخدم جميعهم من السود " .

– نمط حياة الاستقرار : وتقوم حياة الاستقرار في منطقة الهقار على ثلاث مجموعات اجتماعية : الحرطانيون ويقومون بالعمل في الأرض، أي مستقرون أساسا في المراكز الزراعية و التجار و عناصر بشرية أخرى .

تجارة القوافل والتبادل:

أن منطقة الهقار فقيرة من حيث الثروات المحلية القابلة للمبادلة خارج المنطقة ، فلقد لجأ الطوارق إلى مزاولة نشاط اقتصادي جديد وبديل عن الإغارة و رسوم المرور يتمثل في ظهور تجارة "الملح" حيث يأتون بكميات الملح من منطقة الأمدرور في أقصى الشمال الشرقي من الهقار، و أصبح الملح مادة أساسية في تجارة (المقايضة) حيث يستبدل حمولة واحدة من الملح بأربع مثيلاتها من الذرة والتجارة كانت تتم عن طريق القوافل ويقدم بن خلدون في تاريخه أن القوافل التي كانت تمر على أيامه بالهقار كان عدد جمالها يبلغ اثني عشر ألف حمل في أحيان كثيرة و هذا يعطينا صورة عن كثرة البضائع التي كانت تنقلها هذه القوافل[1].

وإلى جانب قوافل تجارة الملح أوجد الطوارق نوعا آخر من تجارة القوافل تخصص أصحابه في تجارة (القمح) الذي تنتجه المراكز الزراعية في الهقار و ذلك بتسويقه في واحة جانت بمنطقة الطاسيلي أو في منطقة تيديكلت ، حيث يستبدل بكميات من التمر وقد تراجع هذا النوع من النشاط الاقتصادي أيضا نتيجة مزاحمة الشاحنات الحديثة في القمح و التمور بين واحات الصحراء والتي أدت إلى الوقت والجهد و عدد الأيدي العاملة [2].

---

[1] محمد السويدي ،المرجع السابق،ص118.

[2]عبد القادر زبادية،الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1989،ص28.

النشاط الزراعي:

من خلال النشاط الاقتصادي و التنظيم الاجتماعي لمنطقة الهقار يتبين أنه لا يوجد هناك أدنى إشارة بوجود نشاط زراعي بالمنطقة ولكن بعد 1905 حدثت تغيرات في القطاع الريفي مثل القيام بالأعمال الزراعية و حفر الآبار و الفجارات إلا أنها ضئيلة و هذا راجع أساسا إلى العامل البشري نتيجة للهجرة أو النزوح من المناطق الزراعية إلى مراكز العمل الجديدة [1].

رغم اختلاف الآراء حول أصل الطوارق إلا أن اتفق الباحثون على أن الطوارق من قبائل البربر وهم من أقدم سكان الصحراء وينحدرون من قبيلة صنهاجة وهذا ما أشار إليه الرحالة العرب كابن خلدون وبن بطوطة.....وهم قبائل بدو رحل يمارسون تربية الإبل و الماعز و ينظمون قوافل التجارة بين شمالي الصحراء وجنوبها، وتخضع هذه القبائل في ولائها إلى زعيم يدعى بالأمينوكال ، والطوارق لهم نظام اجتماعي خاص بهم تضبطهم قواعد العرف بين جميع أفراد المجتمع ،كما يتميز بعادات وتقاليد تختلف عن المجتمعات الأخرى من بينها وضع اللثام وهواية الغناء .

[1] محمد السويدي ،المرجع السابق،ص118.

كانت الصحراء الكبرى منطقة مجهولة تماما لدى الأوروبيين قبل بداية حركة المغامرين فالاهتمام الأوروبي بالصحراء الجزائرية كان سابقا عن الاحتلال الفرنسي بالجزائر عام 1830 ،وإن احتلال فرنسا للجزائر جعلها تهتم بالصحراء الجزائرية أكثر فأكثر وقد زاد هذا الاهتمام وترسخ منذ ثورة سكان الجنوب الوهراني بزعامة أولاد سيدي الشيخ وثورة الزعاطشة "بسكرة"1849 وحركة الشريف محمد بن عبد الله بواحات الأغواط، فتوسع الفرنسيون بالصحراء الجزائرية لأسباب ودوافع منها : تحول المناطق الصحراوية بما فيها منطقة الهقار إلى معاقل للثوار الفارين من الشمال بهدف الاستعداد للمقاومة من جديد لذلك قرر الفرنسيون التوسع في أعماق الصحراء للسيطرة على كامل التراب الوطني .

فالصحراء تعتبر نقطة إستراتيجية بالنسبة لفرنسا فتحت لها الآفاق على العالم الإفريقي وبذلك كتفت البعثات الاستكشافية إلى الصحراء لحاجتها الكبيرة بحيث ترى في الصحراء مخزون اقتصادي وامني استراتيجي يؤمن مستقبلها في القارة السمراء[1].

ويضيف الباحث "جمال قنان"في هذا الصدد قائلا:"يعود الاهتمام الفرنسي بالصحراء بصفة جادة إلى منتصف الأربعينيات من القرن الماضي وقبل هذا التاريخ كل الفرنسيين تصورا على الصحراء وعن أهمية تجاربها والمراكز التجارية ومنافذها خارج الصحراء ولهذا كثفت من البعثات الاستكشافية والحملات التبشيرية.[2]

-1- البعثات الاستكشافية :

بعدما استكملت القوات الفرنسية عملية إجهاض الانتفاضة الشعبية في شمال الصحراء جاء دور تنفيذ استكمال مشاريعها الكبرى من أجل تسهيل عملية التوغل في قلب الصحراء واحتواء سكانها.

---

[1] يحي بوعزيز ،مع تاريخ التاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية،ديوان المطبوعات الجامعية،بن عكنون،الجزائر، ص65.

[2] جمال قنان:قضايا و دراسات من تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ،منشورات المتحف الوطني،1994،ص139.

كان"روني كايي"هو أول المغامرين الفرنسيين إلى أعماق الصحراء فعبرها من السينغال إلى تمبوكتو ،وعاد على طريق تافيلات إلى فاس والرباط وطنجة فيما بين عامي 1824-1828م وكان في نيته أن يخترق الصحراء إلى الشرق نحو مصر والحجاز في زي تاجر متظاهر بالإسلام ،ولكن واجه صعوبة فاكتفت بالوصول إلى تمبوكتو والعودة منها إلى طنجة وفي مطلع الخمسينات بدأت الرحلات والبعثات تكثر نحو الجنوب فقام الدكتور "هنري بارت"*الألماني برحلتين في عامي 1849-1955 من طرابلس إلى غدامس وغات بفزان وإلى تشاد وتمبوكتو** عبر قورارة وتوات وفقد في رحلته صديقيه "ريتشارد سون" "وأوفيرويغ[1] ويمكن" اعتبار هذه الرحلة كأهم استكشاف في القرن19التاسع عشر وكانت المعلومات السابقة عامة وقليلة سواء أكانت حول جغرافية المنطقة أم على سكانها وبقي كل شيء غامض إلى أن رجع هنري بارث وقدم لأوروبا معلومات مهمة ودقيقة عن الصحراء وجمع معلومات ذات أهمية قصوى في الأنتو غرافيا القديمة والوضعية السياسية و الاقتصادية والتجارية للمناطق التي عبرها واستعملت كأداة في التوغل الفرنسي وساعدتهم على إنشاء خريطة تقريبية لوسط الصحراء سنة1856 ،وقبل وفاته كتب مقالا ثم نشره في الجمعية الجغرافية بباريس حث قيها فرنسا على القيام بعمل جبار وواسع في الصحراء الإفريقية وأن عليها قبل احتلال تفهم عقلية سكانها وأن تحمل السيف والبندقية في يد الكتاب والقلم في اليد الأخرى وبذلك يمكن لها أن تحصل على نتائج جيدة وكانت رحلة هنري بارث (أنظر الملحق رقم 3) سببا مباشرا في نجاح المهمات الأخرى[2].

* هنري بارث متخرج من جامعة برلين و يتحدث اللغة العربية جيدا ،تجول لمدة ثلاث سنوات (1845-1848) على سواحل البحر المتوسط،(أنظر حسن مرموري،المرجع السابق،ص216.

**تمبكتو:إحدى المدن الإستراتيجية و الحيوية تقع على ضفاف نهر النيجر ، ويقال أن اسمها مشتق من بئر بكتو وهو اسم لامرأة تارقية وبفضل موقعها الإستراتيجي شكات سوقا تجارية صحراوية للتجار من مختلف الجهات.(أنظر إسماعيل العربي ،المرجع السابق ،ص311.).

[1]يحي بوعزيز ،مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الدولية والجزائرية،المرجع السابق ،ص66 .

[2]حسن مرموري ،المرجع السابق،ص220،

وتعتبر بعثة كل من "ميرشر" و"بولينياك" و"فاتون" و"الطبيب هوفمان" و"إسماعيل بوضربة" إلى غدامس عام 1862 دفعا جديدا للتوغل الفرنسي في الجنوب وخدمة أغراض التجارة الفرنسية .

وكانت مغامرة بوضربة أول تقرير مكتوب حيث نشره قبل أن ينشر يومياته "رحلة إلى غات "،إن لهذه الرحلة أهمية سياسية أكثر منها جغرافية ذلك أنه تمكن من التحدث مع أهم زعماء أزجر خاصة "إخنوخن"* الذي حصل على حمايته و الشيخ عثمان أمغار قبيلة إفوغاس الذي كان دليلا ومصدرا مهما للمعلومات التاريخية والسياسية التي مكنته من جمع معطيات عديدة عن تقاليد السكان أما من الناحية الجغرافية فإن اكتشافه الأكثر أهمية هو بنية هضبة الطاسيلي رغم ذلك ترك بعض الغموض عندما كتب "طوارق آزجر يسكنون هضبتين واسعتين مفصولتين عن بعضهما البعض ...." [1] كما تمكن من رسم طريق جديد على الخرائط بين ورقلة وغات مع كل نقاط المياه التي تتوسطه وهكذا فتح بوضربة الطريق أمام المستكشف الفرنسي هنري دوفيريه(أنظر الملحق رقم4) .

فقد تمكنت هذه البعثة من إبرام اتفاق مع زعيم الطوارق الشيخ الحاج ايخنوخن يوم 26نوفمبر1862نص على فتح أبواب التجارة والأسواق للبضائع الفرنسية في بلاد الطوارق وحماية عبور المفاوضين الفرنسيين وتقديم العون والمساعدة لهم في تنقلاتهم وحماية بضائعهم التجارية وفي نفس الفترة كان"جيرهارد روهلفس"** يقوم برحلاته المتعددة عبر الصحراء [2]في سنة 1862بدأ رحلته الصحراوية عن طريق طنجة واحتار الترحال بحلق رأسه وإعلان إسلامه لكن المحاولة الأولى فشلت وقرر القيام برحلته من جديد إلى تمبكتو عن طريق الصحراء

---

* إخنوخن آق عثمان من أحفاد كوسة الذي غادر أزواغ مع محمدآق تين كرباس وهو سلطان أزقر وزعيم كيل أوراغن كان دبلوماسيا محنكا و مفاوضا بارعا توفي 1886.(أنظر إبراهيم العيد بشي ،المرجع السابق ،ج4،ص104.

[1] يحي بوعزيز :موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر و العرب ،ج1،دار الهدى ،عين مليلة،الجزائر،2004،ص66 .

** ولد روهلفس في ضواحي مدينة بريم في سنة 1832 خرج من المدرسة و انخرط في الجيش ونال رتبة ملازم أول ،ثم انخرط في سلك اللفيف الأجنبي لحبه المغامرة في الصحراء الجزائرية.(أنظر إسماعيل العربي،الصحراء الجزائرية،ص89.)

[2] إسماعيل العربي ،المرجع السابق،ص89.

الجزائرية ولكن ثورة أولاد سيدي الشيخ التي قامت في تلك الفترة قطعت عليه الطريق لكنه لم يستسلم ووصل إلى غدامس وبقي ينتظر ليتخذ طريقه إلى الهقار ولكن قبائل الطوارق بعضها ضد البعض الآخر حرب الأمر الذي شكل عائقا أمام الرحالة .

وكان أول أوروبي يخترق الصحراء من الغرب إلى الشرق خلال الفترة الممتدة من1862 -1885م ويرجع الفضل الأكبر في استكشاف مساحات شاسعة من الصحراء في أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى الرحالتين الألماني "بارث" والفرنسي "دوفيري"فبعدها أصبح فزان وطاسيلي آجار وتمبكتو ومحور طرابلس تشاد أراضي معروفة ومرسومة على الخرائط [1] .

وكذلك من البعثات الاستكشافية التي مهدت للإستعمار الفرنسي بمنطقة الطوارق والهقار بعثات"هنري دوفيري "*حيث قام برحلة مبكرة إلى بلاد الطوارق الشماليين فدرس منطقتهم التي يسكنونها من حيث التضاريس ومصادر المياه واستعرض قبائلهم المختلفة وانتاجهم الفلاحي وتاريخهم السياسي وعاداتهم ومركز مملكتهم القديمة ودامت رحلة من 1854 إلى1862 ومنحته الجمعية الجغرافية ميدالية ذهبية على أعماله هذه[2] وفي سنة 1887قام هنري برحلة تمهيدية إلى الجزائر زار خلالها الهضاب العليا والأغواط والجانب الصحراوي من الأوراس وفي واحة الأغواط تعرف "دوفيري" صدفة بأحد رجال الطوارق ولم تلبث معرفتهما أن تحولت إلى صداقة ولما عاد دوفيري إلى بلده بعد الرحلة الإستطلاعية نشر دراسته في مجلة الجمعية الشرقية في برلين عن القبائل البربرية ضمنها ترجمة لمفردات من اللغة البربرية ،كما جمعته صداقة حميمة مع هنري بارث المستكشف الألماني رغم فارق السن وبعد وفاة هذا الأخير حولت أسرته إلى هنري دوفيري جزءا من أوراقه ووثائقه إلى استعداد منها في رحلته

---

[1] يحي بوعزيز ،مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الدولية والجزائرية،المرجع السابق ،ص66 .

* ولدفي مدينة باريس سنة 1840 ،درس التجارة في ألمانيا وهو لم يتجاوز الرابعة عشر من عمره إلاأنه لم يواصل مشواره التعليمي نظرا لسيطرة طابع حب المغامرة على شخصيته خاصة في المناطق ،وفي سنة 1857 قام بزيارة إلى الجزائر تعرف خلالها على الهضاب العليا والأغواط و الأوراس ،ثم عاد إلى بلده ،وفي سنة 1859 قررالعودة من جديد إلى الجزائر (أنظر إسماعيل العربي ،المرجع السابق،ص84 .).

[2] إسماعيل العربي ،المرجع السابق،ص89.

الكبرى ، قام دوفيري بإعداد رحلته الاستكشافية التي أراد أن تكتسي طابعا علميا بكثير من العناية والتدقيق ومضت سنة من التحضير و الاستعداد وتيقن الرحالة من أنه وضع القواعد التي ستمكنه من نجاح رحلته ،حيث كان دوفيري يرتدي أثناء رحلته ثياب الأهالي ولكنه كان يسافر دون تستر ولم يكن يكتم دينه المسيحي ،وقد استعمل اسم"سعد"أثناء رحلته وفي غضون رحلته إلى الطوارق قام بأبحاث عديدة حيث توجه إلى طوارق الشمال الذين يسكنون جبال طاسيلي آجر وللوصول إلى هناك سلك طريق غدامس [1] وفي طريقه وجد مساعدة كبيرة من شخصين من الطوارق أحدهما "أمينوكال اخنوخن " والثاني شخصية تسمى "عثمان" حيث وصل إلى غات التي كانت مدينة تقع تحت حماية الطوارق واندمج معهم تعلم لغة "تماشق" وحروفها الهجائية (تيفيناغ) لكنه بعد مدة من الزمن وقع المستكشف ضحية لحمى التيفويد التي لازمته ثلاثة أشهر ولما نهض من فراشه أصيب بفقدان الذاكرة،ولقد كان من حسن الحظ أن المذكرات والملاحظات التي سجلها كتبت بعناية ودقة متناهية بحيث أنه لم يمض على رجوعه أكثر من ثلاث سنوات حتى نشر كتابه عن الطوارق تحت عنوان" طوارق الشمال" Les Nord Touaregd du"والكتاب عبارة عن دراسة شاملة لمنطقة الطوارق الشمالية كما هيأ الأرضية المناسبة لإنجاز معاهدة غدامس بين فرنسا والطوارق[2] (أنظر الملحق رقم5)، وفي و أخبر دوفيري أن هناك فرنسيين قبله اهتموا باللهجات البربرية منهم فانتور و هانوتو،كما ذكر أن المستكشف "أودني"قد جمع أبجدية من (19 حرفا) سنة 1822 و كان الطوارق يعبرون بها عن كلامهم و أفكارهم ولا ندري كيف توصل هانوتو إلى معرفة لهجة الطوارق وألف كتاب في نحوها و جمع الأشعار و الحكايات و هو لم يذهب إلى هناك ، وبناءا على دوفيري فإن لهجة الهقار تسمى التماشق ولهجة شماله التماهق وأن النساء هن اللائي يعرفن القراءة والكتابة بهده الحروف[3].

---

[1] إسماعيل العربي،المرجع السابق،ص83.

[2]Henri Duveyreier,voyage an sahara,extrait du bulletin dela societe le geographie,aout1874.

[3] أبو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)،ج8،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،1998،ص38.

ويمكن القول أن رحلة هنري دوفيري كللت بدراسة شاملة (توارق الشمال) وهو مرجع مهم كان المفضل لدى المغامرين الذين قبله أو بعده،فهو يحتوي على معلومات في الجيولوجيا،المناخ والنبات والحيوان بالإضافة إلى التنظيمات السياسية والإجتماعية للطوارق ولعل من أهم إنجازاته الخريطة النظرية للمنطقة المدروسة والتي لم يسبق لها مثيل خريطة بودرية كانت مهمة لكنها غير دقيقة وقد استعملت هذه من طرف معظم المغامرين بعده ومنهم "ايفن باري" ،وفعل مثله" أروين باري"* فقام برحلة إلى غات وبلاد الطوارق خلال عامي 1876-1877وسجل أحداث في جريدة يومية وبحث في التاريخ السياسي للطوارق الشماليين ودرس أوضاع منطقة الطاسيلي.

وكان "فيرديناند فورو"**من الضباط الذين قاموا بعدة رحلات إلى الجنوب وعددها تسعة اخترق خلالها الصحراء الكبرى طولا وعرضا مع الضابط لامي ووضع عدة دراسات على رحلاته فاهتم بالطوارق ومنطقة الهقار[1] وتحدث عن الطرق الثلاثة التي تعرف عليها في منطقة غدامس عام 1892،ولم تكن معروفة ومطروقة قبل ذلك من عين الطيبة إلى حاسي مويلح وزاوية تيماسين وحاسي إيمولاي و حاسي التويزة وتحدث عن رحلته إلى بلاد الطوارق آزجر عام1894 وإلى تادمايت و باتن وعين صالح ووادي ميهيرو وشرح هزيمته أمام السكان[2] وبتكليف من الحاكم العام قام "فورو" بتخطيط طريق من القليعة إلى عين صالح و الطاسيلي أزجر ودرس هيئة الأرض ومقاساتها والظروف المناخية والفلكية وذلك خلال عامي1894-1895وقد سجل أحداث رحلته الأولى في دفتر طريق بسكرة إلى تماسين ومذكور في الطاسيلي أزجر داخل عرق إساوان والعرق الكبير، وكذلك أحداث رحلته الثانية من بسكرة

* إروين باري:من مواليد 1846 ،درس العلوم الطبيعية في جامعة زوريخ و ميونيخ وتحصل سنة 1869 على شهادة الدكتوراه في الطب ونظرا لاهتمامه بإفريقيا تعلم تماشق والعربية و تنكر أثناء رحلته في كونه طبيبا مسلما.

** كان فورو جنديا في الجيش قبل أن يستقر في الإقليم القسنطيني ويبدأ مغامرته إلى الصحراء الشرقية ويوجه اهتماماته في جيولوجيا وعلم النبات .

[1] يحيى بوعزيز،موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب،المرجع السابق ،ص281.

[2] يحيى بوعزيز،تاريخ الجزائرفي الملتقيات الوطنية والدولية ،المرجع السابق،ص67.

إلى البيوض فشرح طبائع الطوارق وعاداتهم وتقاليدهم وتنظيماتهم واستعرض هجوم شعانبة الجرامنت عليه في البيوض وأولاد رحمون مما اضطره إلى قطع رحلته، وفي عامي 1896-1897 قام برحلة طويلة في الهضاب الجزائرية والتونسية شمال العرق وفي داخل العرق الكبير وسجل ما اكتشفه لدى الطوارق من آثار وعلوم وحدد المراكز العسكرية الفرنسية المؤقتة التي أقيمت في تيماسين وتحدث عن دور الضابط"دو"في حمايته وحماية رفاقه "لامي وبان" (أنظر الملحق رقم6).

وقام الضابط "ميري" برحلة إلى غدامس صحبة "ميرشير" "وبولنياك"، اهتم بها "سيرفان ديسبلاس" كما قام ميري برحلات إلى بلاد الطوارق أزجر من أجل الحصول على حرية المرور للقوافل الفرنسية إلى السودان الأوسط وفعل مثله"بيرنار داتانو"وكانت نتيجة هذه البعثات والحملات إقناع بعض عناصر الطوارق للخضوع إلى السلطات الفرنسية [1].

وقاموا"عامر بن حوه" و "بيرنجير" "وايمار" و"بروسلار"برحلات إلى منطقة الطوارق ووضعوا دراسة متنوعة عنها ،فعامر بن حوه الذي كان عضوا في رحلة فلاترز الثانية وضع دراسات على الرحلة من إعدادها وسفرها إلى تحطيمها على يد الطوارق وشرح كيف نجا هو وعاد سالما ،أما "ايمار" فقد اهتم بدراسة الطوارق من نواحي عديدة والاستكشافات الأولى التي وجهت إلى بلادهم وهو ما فعله الضابط أراديو الذي توسع في دراسة الطوارق والحملات الاستكشافية من عام 1854 إلى1910والتنظيمات الإجتماعية وأوضاع واحة جانيت وأهميتها في التجارة والنقل الصحراوي [2]واعتنى" بروسلار" برحلتي فلاترز وكان عضوا في البعثة الأولى فتحدث عن التوغل إلى السودان وشرح مشروع الخط الحديدي الذي سيربط الجزائر بالسودان والسينيغال كما شرح الألفاظ البربرية المستعملة، وتناول كل من "موريس بن حازيرة" والضابط" بيسي" و"بيتر يكس" و"بيس ويل" منطقة الهقار والطوارق بالدراسة والتحليل من

---

[1] يحيى بوعزيز ،موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب،المرجع السابق ،ص282.

[2] يحيى بوعزيز ،المرجع نفسه ،ص282

مختلف الجوانب ، فتحدث ابن حازيرة على كل أوضاع الطوارق الذي قضى لديهم ستة أشهر بالهقار وذلك من النواحي التاريخية والسياسية والحضارية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، واعتمد بيسي على مذكرات فور ولامي في دراسته التي أنجزها خلال دورة بوليسية في صيف 1903إلى الطوارق أزجر وأمقيد وناقوشة ،ما اعتمد على معلومات بعثتي فلاترز ودرس جغرافية تيديكلت وسكانها وسلالتهم والعادات والتقاليد ومصادر الثروة كما درس بلاد الطوارق و أهنيت وتانزرفت واقترح ضرورة مواصلة احتلال هذه المناطق ،واعتنى "بيتريكس " بتسجيل ميزات وخصائص شعب الطوارق والوسائل المستغلة لإخضاعه واقترح أسلوبين لغزو البلاد والسيطرة عليها هما:فرقة أوليميندن وفرقة أدرار ايفوراس،واقتفى بيسويل" أثره في التأريخ لعادات الطوارق وأسلوب تسلحهم وحروبهم، وفعل الأمر نفسه "بول كاسون" فتحدث عن طبيعة الطوارق والأقاليم الصحراوية وتجمعات السكان[1].

وتناول "بوري" الطوارق بالدراسة من خلال نشاط الأب دي فوكو التنصيري بينهم وركز "روني بواي" على أهمية احتلال عين صالح والواحات الجنوبية لصالح عملية التوغل الفرنسي الإستعماري إلى أقصى جنوب وما وراء الهقار ،وانصب اهتمام "كوفي" على دراسة فروع قبائل الطوارق جنوب عين صالح في حين تحدث "دوراند"عن قبائل الطوارق وأعدادها وطبائعها والمشاكل التي تنشب بينها،في حين ركز"فوك"على مشاكل السنوسية والطوارق معا وهو يستعرض الأوضاع في الصحراء وحاول أحد الضباط أن يتعرف على أسباب مقتل "دول"عام 1889من طرف الطوارق وسجل"كوتنيس"أحداث حملته إلى الهقار فيما بين23 مارس و23ماي 1902واستعرض نتائج معركة "تيت"واهتم كل من"لابرين و فيليكس قوتي"بدراسة أوضاع الطوارق ومناطق خلال رحلتهما التي قام بها إلى هناك فلابرين درس الظواهر الجيولوجية لعين صالح وتيديكلت قوتي ركز على ضرورة تركيز السيطرة الفرنسية بالصحراء ، بعد أن قام برحلات استكشافية في أدرار إفوراس ووادي تيلمسي ودرس الغزو الفرنسي للطوارق والصحراء وتعرض لرحلة فلاترز الثانية الفاشلة والمحطمة ،ورحلة فيلمند لغزو عين صالح واعتنى قيولهان

[1] يحيى بوعزيز،موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب،المرجع السابق ،ص283.

"قيولوهان"بالعملية العسكرية التي قادها ضد الطوارق وأوضح النتائج السياسية والعسكرية والجغرافية التي وصل إليها [1].

وأما"مونتي" و"بولهياك" و"بان" و"بولينياك" فقد ركزوا على دراسة أوضاع الطوارق والهقار بعد أن قاموا برحلات إلى هناك ،فتحدث مونتي عن تاريخ الطوارق وعاداتهم وسلالتهم وتنظيماتهم وعن الطرق والتجارة والصناعة لديهم كما تحدث عن أحداث تخريب وتحطيم رحلة فلاترز الثانية واهتم" باريزون" بالحياة والسكان ووسائل الإتصال بين عين صالح والهقار وغدامس وتحدث بولهياك عن عادات الطوارق وقبائلهم وشرح الضابط"بان" أحداث رحلته الإستعلامية إلى بلاد الطوارق آزجر وتحدث عن حركة التشويش التي ظهرت هناك من طرف السكان ضد الغزو الفرنسي[2]

واهتم بولينياك بأهمية صداقة الطوارق لفرنسا واعتنى ضابط آخر برحلة محمد الحشايشي إلى السنوسي والطوارق التي سجل فيها الكثير عن عادات وتقاليد الطوارق وأورد أخبارا طريفة عن الأساليب الدينية لدى كثير من قبائلهم، وقام"فيكتور لارقو"برحلة خلال شهور جانفي وفيفري ومارس إلى مناطق الزيبان ووادي ريغ و الحمادة الصخرية وايغرغر والعرق الكبير وغدامس والطوارق ووادي سوف وسجل تفصيلات واسعة عن الطوارق في رحلته الثالثة إلى غدامس، أما الطبيب"ريشير"فقد تحدث عن تاريخ الطوارق منذ الأزمنة البعيدة وركز شيرميرعلى أهمية منطقة الآير في الهقار وشرح الحالة السياسية للطوارق الشماليين معتمدا على معلومات تقارير ايروين دوباري التي وضعها عام 1876 ،كما استعرض باكي غزو الجنوب الصحراوي من طرف القوات الفرنسية 1899 و 1905 و أورد ضابط آخر أهمية المراكز الصحراوية الفرنسية في عملية احتلال المناطق الصحراوية و في عملية الاستكشاف واستعرض أحداث الطوارق و معارك الفرق العسكرية عام 1903 ومطلع العام التالي وشرح كيفية استعمال فرقة المهاري .

---

[1] يحيى بوعزيز ،تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية،المرجع السابق،ص108.

[2] يحيى بوعزيز ،المرجع نفسه،ص109.

من البعثات التي تم اعتمادها رسميا لتحقيق مشروع الجزائر فرنسية الذي طالما حلمت به حكومة باريس بعثة الكولونيل فلاترز* التي ضمت عددا هائلا من الضباط الفرنسيين وتم تعيينهم خلال شهر ديسمبر 1879 وهم "فلاترز" عقيد المشاة و القائد الأعلى لمنطقة الأغواط و"موسون"نقيب أركان الحرب ،و"برانجر" مهندس الجسور والطرقات ،و"روش"" مهندس المناجم،و"برنار"النقيب في سلاح المدفعية ،و"غيارد" الطبيب"ولوشاتولييه" و"بروسلار" ملازمي المشاة و"كابليوو رابودان"مسيري الجسور والطرقات[1] .

وقد خلصت هذه اللجنة إلى وضع مشروع يفتح منافذ جديدة للتوغل في قلب الصحراء ويتمثل ذلك في مد خط سكة يربط بين قسنطينة و ورقلة ومنه إلى أقصى الجنوب أين تقيم قبائل الطوارق ، وانطلقت البعثة من ورقلة بتاريخ 21ماي 1880 نحو وادي ميزاب .
والظاهر أن رحلة فلاترز غلب عليها الطابع الاستكشافي العلمي والسلمي دون أن تكشف عن أبعادها الحقيقية إذ تجول أفراد البعثة في العديد من أحياء غرداية ، وسجلوا المعلومات الكافية عن المدينة ونمطها العمراني والاجتماعي ثم توجهوا إلى مدينة الأغواط وكان في استقبالهم القائد الأعلى بالمنطقة"بولا"، وبعد أن جمع فلاترز المعلومات الكافية حول خفايا الصحراء رجع إلى باريس لوضع الترتيبات ،وفي سنة 1880 اجتمعت البعثة في بسكرة لتقييم الرحلة وكانت متكونة من ضابطتين برتبة نقيب الأشغال وآخرين برتبة ملازم ثان وطبيب ومهندسين ومندوبين عن وزارة الأشغال و يقال أن فلاترز و جماعته حاولت الاتصال بقائد الطوارق المدعو أمنوكال " أهيتاغل أق محمد بسكة (أمين العقال).

غير أن محاولة البعثة باءت بالفشل ورجعت الحملة من حيث أتت أي من ورقلة بخيبة أمل ولم تحقق ما كانت تريد الوصول إليه وهو إقامة علاقات مع رؤساء طوارق أزجر و هذا رغم الوسائل الكبرى التي وضعت تحت تصرفها ولكن من الناحية العلمية حصلت المهمة على نوع

*فلاتيرزضابط فرنسي كان في الجزائر منذ 1880 عاش بين عامي (1832-1881)ولقيادة الفريق الإستكشافي لمشروع السكة الحديدية استنادا إلى رغبته و كان يتقن اللغة العربية والطارقية نقتل على يد الطوارق في 16 فيفري 1881،

[1] إبراهيم مياسي ،مقاربات في تاريخ الجزائر(1830-1962)،دار هومة ،الجزائر،2007 ، ص163.

من النجاح في المناطق التي وصلت إليها على الأقل كما كانت السياسة الفرنسية مهتمة بالتوغل في أطراف الهقار رغم الفشل الذي منيت به وعليه جدد فلاترز الرحلة وقام بمحاولة ثانية في ديسمبر 1880 ،وغادر ورقلة برفقة إحدى عشر فرنسيا وتسعة و أربعين جنديا من الأهالي و اثنين وثلاثين سائق بعير وثمانية من رجال الشعانبة وأربعة طوارق [1] ،ووصل فلاترز وجماعته إلى أمقيد في12 جانفي 1881،[2] بعدها تابع فلاترز رحلته إلى أن وصل منطقة تماسين التي استقر بها بين 12و13 فيفري وتعامل بها مع العديد من الطوارق[3].

وإذا كانت فرنسا قد صممت على التوسع ، فإن قائد الطوارق أمنوكال كان على يقين بتحركات فلاترز ونصب له كمينا بعدما عزز جواسيسه وأرسل جماعة من فرسانه لإظهار النية الحسنة للتعاون مع البعثة الفرنسية و تقديم لها الإرشادات الوفية ، لكن خطة الأمنوكال كانت تتدرج في المراهنة على إنجاح الكمين الذي نصب لها قرب بئر الغرامة بتاريخ 18 فيفري1881 أين نصبت خيام البعثة وفوجئ فلاترز وجماعته وأتباعه بهجوم فرسان الطوارق و قد بادر فلاترز بإطلاق النار على الطوارق واشتبك الجمعان في معركة قرب قرية "تمارابين"و أسفرت نهايتها عن مقتل 320مسلحا من رجال البعثة بما فيهم قائدها برتبة عقيد،وفرمن تبقى من البعثة قاصدا ورقلة [4]،وكل ذلك عمق من فشل القادة الفرنسيين ولازمتهم خيبة الأمل طوال قرابة العشرين عاما نتيجة حرب العصابات عرف بها سكان الصحراء وكانت هاجسا قويا في نفوس الفرنسيين خلال توغلهم باتجاه أعماق الصحراء.

ويضيف أندري برنيان أن الغرض من السكة الحديدية في الصحراء تتطلب توسيع التوغل الإستعماري نحو الجنوب،ولم يكن الحاكم العام على خطأ عندماجعل من مهمة فلاتيرز عبارة عن مهمة عسكرية قد يبين فشلها سوء التقدير لقوات المقاومة ضد الإستعمارو السكان كذلك لم

---

(1) حسن مرموري،المرجع السابق،ص236.

(2) يحيى بوعزيز ،اهتمامات الفرنسيين بالتوارق ومنطقة الهقار،مجلة المصادر ،ع11،الجزائر،أوت 1979،ص23.

(3) Grammont : Le Colonel flatters,Revue africane,N26,1882,p78.

(4) Djalali sari :insurrection de 1881/1882 ,S.N.E.D ,Alger,1981,p50 .

يكونوا على خطأ وهو ما يجعل فلاتيرز على يقين أنه لا يواجه جماعة من الطوارق عرفوا بخصال الكرم والإستقامة والصدق و الوفاء بالعهد تجاه العدو كما يراهم "دوفيرى"فأجبر فلاترز على التقهقر لأول مرة سنة 1880 بعد رفض الشعانبة اختراق أراضيهم على الهقار في سنة 1881 تجاوزت المهمة الثانية التي بعث بها فلاترز تسليم أراضيهم و تم القضاء على هذه المهمة [1]،وكانت نتيجة هذه البعثة توقف التوغل نحو الصحراء لمدة عشرين سنة وكانت انتصارا لكيل أهقار الذين حافظوا على أسرار منطقتهم وهذا ما جعل الفرنسيين يعتقدون أن عدد المحاربين في الهقار كبير ولهم أسلحة جيدة ومن ثم ألغي مشروع طريق السكة الحديدية العابر الصحراء لربط الجزائر بمنطقة النيجر والبحث عن سبل التوسع في إفريقيا جنوب الصحراء[2].

وهكذا يتضح أن الفرنسيين كانوا شديدي الاهتمام بمنطقة الهقار و شعب الطوارق وبذلوا محاولات مكثفة وطويلة للسيطرة عليهما من خلال رحلاتهم و استكشافاتهم ، لكن كل المحاولات باءت بالفشل.

2-الحملات التبشيرية:

اختلفت أغراض المستكشفين و الرواد في الصحراء الكبرى باختلاف جنسياتهم و هواياتهم فمنهم من اندفع وراء المغامرة بحثا عن المجهول ، ومنهم من كان هدفه جمع المعلومات العلمية عن طبيعة الصحراء وسكانها ومنهم من كان يسعى لاستكشاف الطرق التجارية ولكن فريقا آخر كان يهتم بإدخال الدين المسيحي وانطلقت حركة التبشير مع الكاردينال لافيجري حيث في سنة 1876 تم إرسال ثلاث مبشرين وهم الآباء "يولمي"و"موريه"و"يوشاند"عبر الصحراء وفي هذا الصدد أشار لافيجري قائلا: "في هذه الساعة يوجد ثلاث من المبشرين من

---

[1] أندري نوشي وآخرون ،المرجع السابق،ص392 .

[2] حسن مرموري،المرجع السابق،ص242.

رجالنا في بلاد الطوارق ، وعما قريب سوف يدخلون إلى تمبكتو في عزم وتصميم ليستقر والسودان أو يلقوا فيها حتفهم حبا في الحقيقة[1].

ولقد استطاع الاستعمار الفرنسي أن يسيطر على الأرض بقوة السلاح ولكنه لم يتمكن من بسط نفوذه على سكان هذه الأرض ،لذا كان دور المبشرين في الجزائر هو مساعدة الاستعمار الفرنسي للسيطرة على الشعب الجزائري وهكذا ولأغراض استعمارية توافدت أعداد كبيرة من الجمعيات التبشيرية إلى الجزائر من أجل العمل على تنصير الشعب الجزائري وكان من أبرز هؤلاء المبشرين هو"الكاردينال لافيجري"* ويليه "شارل دي فوكو" [2]هذا الأخير الذي سنتوقف عند أبرز المحطات التي مر بها خلال حياته .

2-1- نبذة عن حياة شارل دي فوكو:

ولد شارل دي فوكو(charles de foucauld)في 15 سبتمبر 1858 بمدينة "ستراسبورغ"في فرنسا ،وقد نشأ يتيما حيث توفي والده في سنة 1864 وهو في سن طفولته فكفلته شقيقته وجده لأمه الذي كان ضابطا فرنسيا فتأثر به دي فوكو حيث تلقى تعليمه الإبتدائي في أسقفية "سانت –أربوقاست (sanit arbogast)"بمدينة ستراسبورغ،ثم بثانوية "أمبرال"بمدينة نانسي إلى سنه 1870 حيث توقفت بها الدراسة بسبب الحرب الفرنسية الألمانية ثم بثانوية "ناسيونال"التي تحصل منها على شهادة البكالوريا، ثم انخرط في الحياة العسكرية حيث التحق بمدرسة "سانت سير"و كانت أصعب مرحلة في حياة دي فوكو بسبب إهماله وسوء تصرفاته،وفي سنة 1878 التحق بمدرسة "سومير"من خلالها أرسل إلى الجزائر ضمن فرقة عسكرية وقد كانت هذه أول مرة يسافر فيها إلى بلد عربي ، ولقد كان لوجود دي فوكو في

---

[1] يحيى بوعزيز،مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية،المرجع السابق،ص109.

* رجل دين فرنسي برتبة كاردينال و رئيس أساقفة ،ويعود له السبق الاستعماري في تأسيس جمعية الآباء البيض1868 ،ولقد لعب دورا كبيرا في تنصيرالجزائرين.(أنظر عميراوي أحميدة ،المرجع السابق،ص81.

[2] العاتي حمزة :الحركة التبشيرية في الجزائرو نشاط الكاردينال لافيجري،د ط،بسكرة،2001،ص01.

الجزائر الأثر في تغير منهج حياته،حيث تخلى عن مركزه العسكري ليتفرغ لخدمة المسيحية والاحتلال الفرنسي في الجزائر عن طريق التنصيرإلا أنه قتل على الطوارق و من بين مؤلفاته

-1-كتاب "reconnaissance et itinéraire au maroc" صدر سنة 1888 .

-2-كتاب نحو لغة تيفيناغ*.

-3-قاموس فرنسي-طوارقي نشر في مجلدين ،ويبلغ مجموع صفحاته 1450 صفحة .

-4-رسائله مع أصدقائه وأهله في فرنسا،حيث يعتبر ما تركه دي فوكو من رسائل خاصة مع من كانت بأيديهم زمام الأمور أحد المصادر القوية لتأريخ السياسة الاستعمارية في الجنوب الجزائري [1].

-5-نصوص طوارقية مترجمة إلى اللغة الفرنسية تشكل مجلدين من الشعر و النثر الطوارقي ، حيث ما تركه يعتبر كمرجع للأكاديمية البربرية في فرنسا[2].

2-2:سيرة دي فوكو ونشاطاته التبشيرية الاستعمارية:

من خلال كتابة إحدى السجينات في مركز عسكري بالأوراس تقول عند إطلاعي على الكتب عثرت على كتاب عنوانه حياة شارل دي فوكو وتوصلت من خلال المطالعة إلى أن حياته كلها كانت بؤس وشقاء و يتميز بالعنف حيث تنكر و ترك لحيته تكبر وتقمص قندورة و غطى رأسه بواقية يهودية و كان يمشي تارة حافيا وتارة أخرى بنعلين ويحمل في عنقه مجموعة من الحجابات المصنوعة من الجلود الغليظة التي هي في الحقيقة أكياس يخبئ فيها الوثائق التي تحصل عليها و المعلومات التي سجلها ،وكان ينتقل في كل الصحراء ما عدا الأماكن

* لغة تخاطب الطوارق هي تماشق و كتابتها هي تيفناغ تحتوي على نسبة كبيرة من حروف الغة الفينيقية.(أنظر عميراوي احميدة،المرجع السابق،ص144.)

[1] عميراوي أحميدة ،المرجع السابق،ص114.

[2]محمدالطاهر عزوي،الغزو الثقافي والفكري للعالم الإسلامي ،دار الهدى ،عين مليلة،الجزائر،1999،ص99.

التي يرى أنها غير آمنة إما مشيا أو ركوبا على الحمير و الجمال ولقد جمع حوله الفقراء و المعوزين عن طريق العلاج المجاني و الصدقات كانت عنده دائما قطعة من الخبز يقدمها للتعساء وعموما فإن هؤلاء المعوزين ينحدرون من العبيد السود للطوارق و يستفيد مقابل مساعدته بالمعلومات التي يبيحون له بها و كان كثيرا ما يقرأ أو يترجم الكتابة الطارقية [1].

وكان يشاركه في العمل الرائد"لابرين"الذي كان يشرح له النصوص الطارقية التي حجزها أوسرقها ، ولقد برزت النزعة العسكرية فيه منذ طفولته ، حيث تلقى فيها تكوينا خاصا وكان يسعى إلى اخضاع الجنوب لرجال الكنيسة و الجيش ،أما في 1902 فقد بدأ يكيد إلى الأمنوكال الذي رفض أن يسمح له بالاستقرار في تمنراست و بمجرد أن تولى "موسى آق أمستان" عين شارل دي فوكو مكانا ليكون في مأمن من كل خطر ،كما سعى لتجزئة تيديكلت (منطقة بشمال الهقار) إلى ثلاثة أقسام كم يبدو من مراسلته مع الرائد "لابرين" وضباط آخرين

فحياة شارل دي فوكو تعد جزءا لا يتجزأ من شعوذة الدجالين التي ألحقت أضرار كثيرة بالشعب الجزائري مدة 132سنة ،أما الكتابات التي صدرت بأقلام فرنسية وعملت هي الأخرى على فضح حقيقة شارل دي فوكو فنذكر منها ما آثاره شارل لوروا بقوله"إننا نستغرب كيف منح الفتيكان القداسة لفوكو الصعلوك وما هي الأسباب التي أهلته لنيل تلك الدرجة الرفيعة ، هل بسبب ماضيه السيء الذي يزخر باحتياطي هائل من الخطاب والرذائل و الخبث و النفاق مما شهد له معاصروه ،أم لحجة في نفس يعقوب؟ [2] رغم هذه الحقائق الصارخة إلا أننا نجد بعض الكتاب الفرنسيين وأتباع فوكو يحاولون التضليل عن طريق المؤلفات والإدعاءات التي أصدروها قاصدين بذلك طمس معالم الحقيقة من أمثال الصحفي "موريس رويد"الذي أصدر كتابا سماه (ناسك الهقار) والذي يفضح فيه هو الآخر النشاطات الفعلية لشارل دي فوكو حيث يقول المؤلف "إن الراهب دي فوكو كان يخشى الصحراء ، وإنه يخاف من خطرها ، وإن

---

[1] ابراهيم مياسي ،مقاربات في تاريخ الجزائر،المرجع السابق،ص211.

[2] عبد السلام بوشارب: شارل دي فوكو ودسائس الاستعمار في الهقار ،مجلة أول نوفمبر،ع161،الجزائر ،1999،ص10.

احتلال الصحراء لا يمكن ، وإن أمكن فهناك صعوبات كبيرة ستقابل المحتل حيث أن أهلها لايمكن أن استسلامهم بهذه السهولة ولذلك فهو يحذر منها ،وهناك أيضا الكاتب العربي علي مراد الذي دافع بحماس عن فوكو في كتابه شارل دي فوكو في نظر الإسلام ، وقد تلقى ردا لاذعا اطلعت عليه في جريدة الشعب الصادرة بتاريخ 28 ديسمبر 1985 تحت عنوان "لن ترضى عنك اليهود ولا النصارى"[1].

-3 مبادئ دي فوكو التبشيرية الاستعمارية :

كان دي فوكو متشبع بالفكر الصليبي الحاقد على الإسلام فقد سعى لمحاربة العقيدة الإسلامية لأنه يعرف أنها تشكل الدرع المتين في وجه أية محاولة للتغلغل وتشتيت صفوف المسلمين ،ولكل هذه الأسباب نصب فوكو قسيس عام في الصحراء بعد أن قدمت له السلطات الفرنسية كل التسهيلات والإمكانيات للقيام بمهمته التنصيرية بعد أن خابت جهوده التبشيرية في سوريا أين كان الأتراك يقتلون المتسترين تحت شعارات المسيحية وهكذا استقر فوكو بالهقار مدعوما من طرف فرنسا ومباركا من قبل روما التي سمحت له في عيد الميلاد (1907) وظل فوكو في نظر الكنيسة رجل دين كبير أما في نظر فرنسا فهو وسيلة كبرى من وسائل تحقيق أطماعها الاستعمارية التوسعية ، أما المحاور التي ارتكزت عليها فلسفة فو كو التبشيرية فتتمثل في البنود التالية:

-1-محاربة اللغة العربية و محاولة طمسها في الهقار لأنها هي الوسيلة لفهم تعاليم الدين - المسيحي مع إحلال الفرنسية محلها.

-2-محاربة بناء المساجد والزوايا .

-3-اللجوء إلى شراء العبيد وإعطائهم حرياتهم لكي يكونوا أعوانا وتقديم الهدايا للمواطنين لاستمالتهم وكسب تعاطفهم .

---

[1] عبدالسلام بوشارب،شارل دي فوكو ودسائس الاستعمار في الهقار،المرجع السابق،ص10.

-4-مساعدة الفقراء و المعوزين بالعلاج المجاني والصدقات مقابل استدراجهم للبوح العفوي بالمعلومات

-5-جلب اهتمام كبار العسكريين وإغرائهم بخيرات الصحراء الغنية بمياهها وزراعتها وحيواناتها و معادنها حتى يميلوا إليها ويساعدوه على نشر مبادئه.

-6-الاتصال فورا برؤساء القبائل والعشائر والعمل على توطيد أواصر الصداقة معهم حتى يضمن خروج الزعيم من الإسلام وبالتالي سوف تسعى وراءه قبيلته[1] .

ويضيف أحمد مريوش في هذا الصدد قائلا:"أن فوكو استغل في عمله التبشيري التمركز بين فصائل القبائل الطارقية ، وكسب الأطفال وتحبيب في نفوسهم مبادئ المسيحية و استغل في ذلك سذاجتهم و براءتهم ،وكان يقدم لهم بعض الهدايا و الحلوى ومن خلال هذه المرحلة كان يتوغل تدريجيا في الوسط الطارقي ، ويتقرب من الأعيان والوجهاء[2].

وقد كتب دوفوكو حول طريقة عمله في التبشير إذ يقول :"كنت أحاول أثناء جولاتي دائما أن اقترب من المخيمات السكانية و إن أدخل في علاقة مع الأطفال الصغار ،وذلك بأن أقدم لهم السكر لكنني لم أسجل نجاحا في هذا المسعى ، فقد كان مر أي عندهم أشبه شيء بمر أي الشيطان نفسه حيث كانوا يطلقون سيقانهم هاربين قبل أن يختفوا في الخيمة ، قد يبدو من الغريب أن ألح على موقف أطفال صغارا لا يتجاوز أعمارهم مابين الخامسة و الثانية عشر ، لكن يمكننا بواسطة الأطفال أن ندخل إلى نفوس الآباء ونهدئ من روعهم إنها لفرصة لتقريب المترددين من فرصة الدخول في اتصال مع المتطرفين الذين يبغضوننا ، ويضيف الباحث سعد الله حيث يقول:"عند عودة شارل دي فوكو إلى الجزائر نسق نشاطه مع رجال لافيجري "الآباء البيض"وأخذ يتعلم اللهجة الطارقية وأصدر معجما منها وكان يتجول في الصحراء مستكشف

---

[1] عبد السلام بوشارب،شارل دي فوكو ودسائس الإستعمارفي الهقار،المرجع السابق،ص11.

[2] أحمد مريوش،التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان الهقار1916، مجلة المصادر،ع11، 2005 ،ص135

وليس رجل دين ،وكما كان دي فوكو معروف للسفارات والقنصليات الفرنسية في المشرق والمغرب الأقصى وكان معروف للمكاتب العربية والمراكز العسكرية الفرنسية في الصحراء الجزائرية ،و كان دي فوكو صديقا لكل من المارشال "ليوتي"والجنرال "لابرين"

وكان هذا الأخير قد وصل إلى تمبكتو وكان يدرك تماما مدى معرفة دي فوكو لعادات الصحراويين ولهجة الطوارق وقدرته على كسب النفوذ لفرنسا والتجسس لحسابها لذلك طلب الجنرال من دي فوكو في تمنراست على اتصال دائم ومباشر مع أعيان وأشراف الهقار ولا سيما زعيمهم موسى آق أماستان وكذلك مع الحراثين والأتباع [1] ،وفعلا بدأ فوكو على الفور الاتصال بالأمنوكال موسى آق أماستان زعيم الطوارق في في محاولة لجذبه لكن موسى ما إن فهم قصده حتى قام ببناء مسجد وزاوية بتمنراست كانت أول صدمة لفوكو يشعر بعدها أنه أمام شخصيات أساء فهمها و رغم حرص فوكو على إرضاء الأمنوكال إلا أنهاازداد تصميما على خدمة الدعوة الإسلامية في جميع أنحاء الهقار، فعمل على الإيقاع بين السلطات الفرنسية وموسى آق أماستان لكنه لم ينجح في ذلك ومن المكائد التي دبرها فوكو والتي يشهد بها الكولونيل "بيست" في المجلد العاشر من السلسلة الثالثة من كراسات دي فوكو أنه نجح في عام 1903 في الكيد للأمينوكال "أتيسي"الذي خانه ابن أخته موسى آق أماستان لدى الجيش الفرنسي حيث اتهم الأمينوكال وطرد إلى غدامس وجرد نهائيا من ممتلكاته (800 جمل) وأراضيه وولى موسى آق أماستان من طرف الرائد لابرين[2] ،ومما لاشك فيه أن دوفوكو قد وجد صعوبة كبيرة في استقطاب الطوارق إلى دائرته التبشيرية ،ولذلك نجده يعترف بذلك الفشل لكنه لم ييأس من عمله ،وقد أشار إلى ذلك بقوله :"إنه لمن الصعب على رئيس سياسياو ضابط أن يخطوا الخطوة الأولى نحو الأهالي والذين يلازمون موقف العزلة ، ولا يبدون سوى مظاهر اللياقة ،وعلى العكس من ذلك فإنه لمن المسلي ومما لا يحيط من قطرنا أو نحاول بث الثقة فينا في نفوس الأطفال ونوجه إليهم أسئلة وتقدم هدايا بسيطة ،وكما تتحطم الحواجز التي

---

[1] أبو القاسم سعد الله ،المرجع السابق ،ج6 ،ص135.

[2] عبد السلام بوشارب،شارل دي فوكو ودسائس الاستعمار في الهقار ،المرجع السابق،ص12.

تفصل بيننا وبين الأهالي [1] ،ويقول بوعلام بن حمودة"أن دي فوكو كان عضوا في إرسالية التبشير في جنوب المغرب قبل أن يأتي إلى الجزائر 1905 ويستقر بتمنراست[2] ،و اعتمد الأب دي فوكو على التنشئة الاجتماعية في إنجاح مشروعه التبشيري كما أوضح ذلك بقوله "الطفل هو المستقبل والقرية التي يحبوا فيها الأطفال الضباط و يعتبرونهم آباء يدللونهم، تشعر بسعادةعندما يخيم الجيش في أرضها ،وبعد عشرة سنوات سيكبر أطفال القبيلة وينمو معهم الولاء لأفكارنا.

2-4 رحالاته:

رحلته إلى المغرب:

بدأت الرحلة إلى المغرب في10 جوان 1883 مع الدليل اليهودي حيث انطلقا من الجزائر العاصمة إلى مدينة وهران فأبحرا إلى طنجة بالمغرب ومنها بدأت الرحلة مشيا في منطقة الريف ، وهي عبارة سلسلة جبلية على ضفاف البحر المتوسط ومنها إلى فاس و تازة ،ولقد كان دي فوكو خلال هذه الرحلة يسجل خفية ملاحظاته والمعلومات الكثيرة عن سكان القرى والمناطق التي مر بها عن عاداتهم و تقاليدهم ولغاتهم ولهجاتهم و طباعهم و طرق تفكيرهم ، وثروات المنطقة من وثائق ومخطوطات حول الطبيعة المختلفة وجغرافية المناطق بتضاريسها المتنوعة وبهذا يكون قد خدم السلطة الفرنسية من خلال ما قدمه لها من معلومات قيمة وهذا ما ساعدها في غزو المغرب سنة 1912 [3].

---

[1] إسماعيل العربي ،المرجع السابق ،ص114.

[2] بوعلام بن حمودة:الثورةالجزائرية(ثورة أول نوفمبر1954)، دار النعمان، وزارة المجاهدين،2012، ص51.

[3] عميراوي احميدة ،المرجع السابق، ص115.

زيارة الأماكن المقدسة:

لقد فرض عليه القس Huvelin إذا كان يرغب في الحياة الدينية الأماكن المقدسة بفلسطين رغم كرهه للقيام برحلة طويلة مثل فوكولد سيقبل ذلك تنفيذا لنصائح و إدارة زعيمه الروحي ،غادر مرسيليا في نهاية نوفمبر 1888 ليصل إلى القدس يوم 15ديسمبر وزار معبد السيد المسيح وعددا من الأماكن الأخرى ليعود باريس في مارس 1889 ،ويجنده القس Huvelin لدراسة دعوته في الخلوة ،عاد إلى الأراضي المقدسة للمرة الثانية في السنين الأخيرة من القرن حيث زار حيفا ورام الله ،بيت لحم والقدس ليصل أخيرا إلى نازريخ Nazareth (أنظر الملحق...)،وقام بكل هذه الرحلة سيرا على الأقدام وكان لباسه كالسكان القرويين الفلسطينيين وهكذا يتردد على المدن الفلسطينية يتعبد ويخلو ويتصل بالشخصيات المسيحية المشهورة كالأم (Elzabath du calvier) المقيمة بالقدس ليعود أخيرا إلى مرسيليا[1] .

العودة إلى الجزائر:

قرر دي فوكو الاستقرار في بني عباس لعدم وجود رجل دين مسيحي ، يقوم بالطقوس الدينية و بنى فيها ديرا للعبادة و قد خصص حجرات صغيرة لاستقبال وعلاج المرضى و تمكن من شراء العبيد وعمدهم وجعل بعضهم خدما له،وكان أول شخص عمده في بني عباس هو طفل اسمه "عبد المسيح" وعمره ثلاث سنوات ونصف كما اشترى عبدا آخر اسمه "بول " فجعله خادما له .

لقد كان لتعيين "هنري لابرين"قائدا أعلى على منطقة واحات الصحراء الجزائرية و لزيارته لصديقه دي فوكو أثر في تحقيق حلمه و هو التوغل في الجنوب ،فكان له ذلك سنة 1904 ودامت الرحلة ثمانية أشهر برفقة خادمه "بول"وقد ترك لابرين دي فوكو في عين صالح والتي بدأ منها كمستكشف مثل ما فعل في المغرب[2] .

---

[1] مرموري حسن ،المرجع السابق ،ص273.

[2] عميراوي احميدة،المرجع السابق،ص ص121-122.

الإقامة في تمنراست من 1905-1916:

اتخذ دي فوكو تمنراست مقرا له وقد ساعدته معرفته للهجة المحلية للمنطقة في تعاملاته مع السكان ولقد سعى في المرحلة الأولى إلى اختراق حياة الطوارق نساءا و رجالا وأطفالا ، حيث بدأ يعلمهم أشياء كانوا يجهلونها بحكم تواجدهم في منطقة نائية كالخياطة والنسيج وكسب ثقتهم وحبهم ،ليبدأ مرحلة التنصير والتطويع و كان كثير التجوال و التنقل في المناطق وقد صادفته مجاعة حلت بتمنراست فاستغل الوضع لكسب ودهم وفعلا حقق حلمه [1]،و قد أشار شارل دي فوكو أثناء إقامته بتمنراست في نص صريح "الأمر الأول هو إقامة النظام الفرنسي والحضارة في إمبراطوريتنا بالشمال الغربي الإفريقي.....والأمر الثاني هو التبشير[2] .

وبعد ذلك قرر الإنتقال إلى الهقار و بنى ديرا على إحدى القمم يسمى "لسكريم" " L'asckrrm"يبلغ طوله 2700 م وواصل نشاطه من هناك .

رغم قضاء "شارل دي فوكو"قرابة العقدين من عمره يجري وراء سراب صحراء الهقار إلا أن نهايته كانت على الطوارق لاكتشاف نشاطاته من خلال العمل على إحياء التراث الثقافي الطارقي مستهدفا بذلك القضاء على الإسلام و نشر المسيحية و تنصير الطوارق لهذه الأسباب تهيأت ظروف قتله و تمت العملية على يد ثلاثة من الطوارق من قبيلة "آيت لواين " قرب "تين ترابين" وقد قصد برجه يوم 1 ديسمبر 1916 في الوقت الذي اعتاد فيه فوكو على استلام البريد و هذا بعد أن اصطحبوا معهم المسمى المدني الذي كان في طريقه إلى برج "تاهاوهاوت"لتوصيل بريد فوكو وعندما نادى المرشد فوكو معلنا عن قدوم البريد فتح له الباب و مد يده وانقض عليه الثوار و جذبوه بقوة إلى الخارج وكبلوه واقتحموا البرج للبحث عن السلاح

---

[1] عميراوي حميدة ،المرجع السابق ص124.

[2] محمد الأمين :تاريخ الجزائر المعاصر دراسات ووثائق ،ط1،دار البلاغ ،الجزائر ،2001،ص43.

والذخيرة بعد أن كلفوا الشاب الذي كان معه م بحراسته ،وأمام مقاومة فوكو و سعيه لفك وثاقه أطلق عليه الحارس النار في رأسه فأرده قتيلا.[1]

ومما يرويه الأهالي أن قاتل دي فوكو ظل هاربا إلى أن ألقت المخابرات الفرنسية القبض عليه في الحدود الجزائرية الليبية عام 1956،و من دون شك فإن مقتل شارل دي فوكو قد ترك الأثر العميق في نفوس رجال السياسة الفرنسية واتضح ذلك جليا في نفسية القائد لابرين الذي أرسل تعليمة بتاريخ 16 أفريل 1917إلى القيادة العسكرية بتمنراست على إثر سماعه باغتيال زميله فوكو ومما جاء في تعليمته قوله"أما بخصوص مقتل دي فوكو فإن العقوبة يجب أن تمتد لا إلى الجماعة التي أقبلت إلى تمنراست فقط (يقصد الذين قاموا بالاغتيال) ولكن إلى المنجزين والمتواطئين .....وسيقتلون واحدا تلوى الآخر[2]1.

وبعد شارل دي فوكو واصلت جماعة بعثة الأخوة الزرق نشاطها بتمنراست ويستقروا بالاسكرام الذي اتخذه شارل دي فوكو كموقع لملجئه أو خلوته وهي لا تزال قائمة إلى اليوم وهي مقصد السياح من كل أنحاء المعمورة [3].

---

[1] عبد السلام بوشارب ،شارل دي فوكو ودسائس الاستعمار في الهقار،المرجع السابق،ص14.

[2] Cloude blangueron, opcite ,p40.

[3] عبد السلام بوشارب،الهقار أمجاد وأنجاد،المرجع السابق،

مما لا شك فيه أن مهمة شارل دي فوكو خلال تواجده في الجزائر هي استمرارية لمشروع الكاردينال لافيجري التبشيري الذي بدأه خلال منتصف القرن التاسع عشر بالجزائر، كما قام بدور كبير في خدمة الاحتلال الأوروبي ،ولاسيما الاحتلال الفرنسي في الجزائر و تحديدا في صحرائها (أنظر الملحق رقم 7 لشارل دي فوكو ورحلاته).

إن احتلال فرنسا للجزائر جعلها تهتم بالصحراء الجزائرية وهذا يدخل في حسابات وضعتها في برنامجها التوسعي الاستعماري والمتمثل في محاولة حصار تونس عسكريا واقتصاديا من ناحية الجنوب الشرقي ،كما استهوت خيرات الصحراء المستعمرين وأسالت لعابهم لهذا شهدت هذه الأخيرة حركة جغرافية استكشافية تبشيرية من طرف الرحالة والمغامرين لكنها باءت بالفشل لأن سكان المنطقة كانت لها بالمرصاد.

بدأت مقاومة الاستعمار الفرنسي في الجنوب الشرقي الجزائري من قبل السكان منذ بداية إرسال البعثات الاستطلاعية والاستكشافية للمنطقة التي كانت تهدف لخدمة التوسع الاستعماري الفرنسي نحو الجنوب والصحراء الكبرى، وقد مرت بعدة مراحل أهمها:

أ-المرحلة الأولى: مقاومة التبشير المسيحي

ب- المرحلة الثانية :مقاومة التغلغل العسكري الفرنسي

بعد أن أتم الفرنسيون القضاء على المقاومة في الزيبان وفي الجنوب الغربي التي قادها الشيخ بوعمامة توغل الاحتلال في الجنوب أكثر واجتاز ورقلة نحو الجنوب الشرقي الجزائري وهناك يتضح أكثر دور سكان الجنوب الشرقي في مقاومة زحف الاحتلال الفرنسي نحو الصحراء الجزائرية ، الذي حاول بشتى الوسائل الوصول إلى عمق القارة الإفريقية منذ سنة 1862 إلى غاية 1962 ، وقد كان حظ الطوارق ومنطقة الهقار من اهتمامات إلى هناك بعنوان الاستكشاف والاستعلام . الفرنسيين هو الغزو والتوسع و الاستعمار و الاستغلال وليس شيئا آخر ،فأكثروا من إرسال الحملات العسكرية[1].

فشهدت منطقة الطوارق على غرار باقي جهات الوطن مقاومة شعبية عنيفة للغزاة الفرنسيين وقد خاض الطوارق في كل من منطقتي الهقار و جانت عدة معارك بطولية كبدوا فيها العدو خسائر فادحة خلال أولى محاولاته التوسعية في ،مما جعله يتقهقر تحت ضرباتهم القوية ويتراجع عن تنفيذ أطماعه الاستعمارية وهذا يدل على أن جوهر المقاومة هو رفض الاستعمار واكتشاف الطوارق للدوافع الحقيقية الكامنة وراء البعثات الفرنسية المتتالية على المنطقة[2] .

---

[1] إبراهيم بشي :مقاومة سكان الجنوب الشرقي ،مقال غير منشورٍ،ص ص1-2 .

[2] عبد السلام بوشارب ،الهقار أمجاد وأنجاد ،المرجع السابق ،ص 102.

وإن النوايا الحقيقية للفرنسيين اكتشفت بمجيء المقدم فلاترز سنة 1880 إلى الهقار وهذا ما دفع بطوارق أزجر و الهقار و كال قرسي وكال أوات وطوارق تمبكتوا بمقاومة أية محاولة أوروبية للتغلغل في الصحراء[1] .

أولا:مقاومة التبشير المسيحي:

وجد سكان الطوارق أنه من الضروري مواجهة هذه البعثات الاستطلاعية والاستكشافية والعمل على إفشالها لأن الهدف منها هو التمهيد للاحتلال في المنطقة نذكر منها بعثة دورنو دوبيري وجوبار1874 حيث تم قتلهما على يد بعض من سكان المنطقة قرب عين أزهار ولم يسلم منهم حتى الرهبان ممن حاول الاستطلاع تحت لواء الدين و التنصير* عبر الصحراء الكبرى الذي عمل الاستعمار على تثبيت النفوذ الفرنسي بالصحراء عن طريق المبشرين. حيث تم قتل الكثير منهم على سبيل المثال نذكر كل من" بوشار" و"مين وري" و"بوليمي" قرب مدينة عين صلاح سنة 1876 م إلى جانب فشل بعثة أروين عام 1877.[2] بعد أن طرح الكاردينال لافيجري(lavigerie) فكرة التغلغل الصحراء من الشمال إلى الجنوب عن طريق المبشرين عام 1867 فأسست في الجزائر جمعية مبشري الجزائر la société) (missionariesd'alger أو الآباء البيض (PèresBlancs) عام 1874 لهذا القصر[3]. وكانت غايتها النفوذ خلال الصحراء أو السودان عن طريق عين صالح ونشر المسيحية في وسط إفريقيا بين الأقوام الذين يعبدون الأصنام واستقرت جمعية الآباء البيض أولا في بسكرة وجبرويل والأغواط ومتليلي وقد قتل الطوارق ثلاثة مبشرين عندما غادروا متليلي قاصدين عين صالح فقام الكاردينال لافيجري بتجربة طريق غدامس غات للنفوذ إلى السودان عوضا عن

---

[1] عميراوي احميدة ، المرجع السابق ،ص52.

* هو حمل الناس بصورة أو بأخرى أفرادا أو جماعات من عقيدة غير نصرانية سواء كانت إسلامية أو وثنية أو غيرها الى العقيدة النصرانية .(انظر عميراوي حميدة ،المرجع السابق ، ص 99).

[2] لخضر بن بوزيد :حملات التنصير في إفريقيا في القرن التاسع عشر والعشرين،المجلة الإفريقية للعلوم السياسية، ص4

[3] العاتي حمزة ،المرجع السابق ، ص 5.

طريق عين صالح لسلامتها ووصل إلى طرابلس مبشران فرنسيان عام 1878وأوصى القنصل الفرنسي بأن يكون طريق المبشرين الآخرين ورقلة جنوب الجزائر نتيجة للقلق الذي حدث بين سكان المنطقة أما المبشرون الذين استقروا في غدامس فقد قاموا بالكشف على المرضى وإعطاء العلاج لهم لكسب محبة السكان ،ونجحوا في ذلك في البداية أما مهمتهم التبشيرية فاحتفظوا بها من أجل السودان وفي المدة التي استقروا بها في غدامس حاول هؤلاء المبشرين التقرب من الطوارق فقاموا بجولة بين طوارق التاسيلي– ناجر ما بين غدامس وغات استمرت 56 يوما عام 1888 وحسب مبادئهم قاموا بالكشف على المرضى وإعطاء العلاج دون أي ثمن لتعزيز العلاقات ولكن رحلات بعثة فلاتير واستيلاء فرنسا على تونس أساءت إلى وضعهم في غدامس فبدأ بعض السكان والسلطات التركية ينظرون إليهم على أنهم جواسيس فرنسيون.

وبعد إقامة دامت أربع سنين في غدامس رغم يقظة القنصل الفرنسي يالكاردينال لافيجري وقد ذهب ثلاثة مبشرين من الستة الذين كانوا في غدامس إلى القائم مقام" محمد أبي عيشه "وطلبوا منه الرسالة التي بعثها والي طرابلس إلى قائم مقام غات وأخذ القائم مقام منهم تصريحا خطيا باللغة العربية والفرنسية يتضمن أن السلطات المحلية ليست مسؤولة عما يحدث لهم في الطريق بعد أن سمح لهم بالسياحة واستنادا إلى طلبهم حرر لهم وثيقة خبرة على أنهم نجحوا في معالجة المرضى الذين كشفوا عليهم في غدامس ثم شيع المبشرون الثلاثة حتى حدود مدينة غدامس برفقة الفرسان وفي 20 من شهر ديسمبر 1881 م حيث تم قتلهم على يد الطوارق بعد ذلك فشلت هذه البعثة التبشيرية ورجع المبشرين الثلاثة الذين بقوا على قيد الحياة إلى طرابلس في 20 مارس عام 1882 م .

وبذلك فشلت جميع محاولات الفرنسيين في السيطرة على الصحراء وبلاد إفريقيا السوداء عن طريق غدامس بما فيها منطقة "وان أمالي "عن طريق المبشرين[1] .

---

[1] ابراهيم العيد بشي ،المقال السابق ،ص ص3–4.

وكان وقوف شيوخ الطريقة السنوسية تجاه النفوذ المسيحي وقوفا غير متسامحا وكانت غير المسلمين ولاسيما الفرنسيين منهم الذين استولوا على الجزائر ولم تسمح الطريقة السنوسية بدخول المسيحية إلى الصحراء وبلاد إفريقيا السوداء[1] .

ثانيا:مقاومة التغلغل العسكري الفرنسي في المنطقة:

لقد واجه الاستعمار الفرنسي وكبار ضباطه ظهور المقاومين والانتفاضات الشعبية والثورات في الجنوب الشرقي الجزائري ضده من القوات الاستعمارية بعد محاولة بعثة (فلاتيرز) التي تهدف إلى خدمة التوسع الاستعماري نحو الجنوب والصحراء الكبرى، وذلك من أجل ذلك حاول الاتصال بزعماء الطوارق في كل من التاسيلي–ناجر و الهقار، فقد انطلقت حملة فلاتيرز العسكرية والفنية قصد الشروع في انجاز خط السكة الحديدية العابر للصحراء من مدينة ورقلة في 05 مارس 1880 مرورا بواحة تما سنين (برج عمر إدريس) من اجل تسهيل مهمته والتي قوبلت بالرفض لكنه أصر على مواصلة باتجاه غات بليبيا والتي تبعد بحوالي 800 كلم عن تما سنين وصول إلى بحيرة منخور بالقرب من منطقة اليزي بحوالي 40 كلم غربا في عرق اغرغارن وعند علم الطوارق بأخبار وصول تلك البعثة إلى الطوارق وجدت البعثة نفسها محاصرة من كل الجهات مما أضطر إلى الفرار والعودة إلى ورقلة التي دخلها 17 مايو 1880 وبذلك فشلت محاولته الأولى وبتاريخ 14 ديسمبر 1880 خرج الكولونيل فلاتيرز والذي يكون قد تقلد هذه الرتبة بعد عودته من البعثة الأولى، وكانت هذه هي البعثة الثانية له في نفس السنة انطلاقا من ورقلة نحوا منطقة أمقيد بتاريخ 18 جانفي 1880 وصل منطقة أمفيد باتجاه الهقار مرورا بسبخة أمدرور[2] .

---

[1] ابراهيم العيد بشي ،المقال السابق ،ص ص3–4.

[2] أندري برنيان وآخرون،المرجع السابق،ص391.

وللإشارة إلى أن هذه البعثة قد تعرضت إلى حادث مأساوي أدى إلى توقفها قبل إنجاز عملا وإنهاء مهمتها قبل بلوغ الهدف المحدد لأن في أثناء وصولها إلى هذه المنطقة ، بعث أحد زعماء الطوارق بمجموعة من رجاله ليساعدوا البعثة ويرشدوها على مواصلة سيرها في سهول(أمدرور–L'amadror) ، ووصلت إلى أمقيد في 19يناير1881م ووقعت مأساة حقيقية للناجين من الرجال المرافقين لهذه البعثة [1] ، وفي شهر فبراير من نفس السنة وصلت البعثة بئر الغرامة وقعت في كمين عندما حطت رحالها فجئتها مجموعة من قبائل الطوارق بالهجوم عليها وقتل في تلك المعركة قائد البعثة فلاتيرز ومن معه.

وعلى إثر ذلك شيدا الاستعمار الفرنسي نصب تذكاري بالقرب من بحيرة منخور ،وهذا عندما شعر ثوار الطوارق بالخطر من جراء زحف قوات الاستعمار الفرنسي نحو الأراضي التي كانوا يرعون فيها دون مراقبة بكل حرية قد تصبح لغيرهم من الدخلاء الجدد وشعر التجار الغدامسية بفقدان النفوذ التجاري على طرق وأسواق إفريقيا السوداء بعد احتلالها من قبل الفرنسيين[2] .

مقاومة الشيخ أمود:

كانت مجموعة من المجاهدين الطوارق تحت قيادة كل من زعيمهما الروحي لقبيلة إيمنان الشيخ أمود وزعيم الهقار "أهيتاغل"،و أمود بن المختار ايمنان ولد حوالي 1848 م في واحة جانيت في الجنوب الجزائري، كان منذ صغره يرافق أبيه في سفره إلى منطقة الهقار حيث توجد أغلبية قبيلة إيمنان التي تعيش هناك منتشرة بين أودية وجبال الهقار[3]، وفي عام 1865 حدث نزاع بين قبيلة إيمنان وقبيلة آوراغن،مما أدى ذلك هجرة قبيلة إيمنان من منطقة التاسيلي–ناجر، التي أصبحت تحت نفوذ قبيلة آوراغن فأدى ذلك توجه أسرة إيمنان إلى منطقة

---

[1] إبراهيم مياسي،مقاربات في تاريخ الجزائر، المرجع السابق ،ص163.

[2] ابراهيم العيد بشي ،المقال السابق ،ص 5.

[3] إبراهيم العيد بشي،المقال السابق ، ص 6.

الهقار التي كانت تحت نفوذ قبيلة كيل غلا، وعندما وصلت أسرة إيمنان إلى وادي تين هيرت تعرضت هذه الأسرة إلى ملاحقة ثأرية من جراء النزاع السابق والفتنة التي حدثت في منطقة التاسيلي–ناجر، وتم القضاء على أغلب الرجال المقاتلين فيها الذين كانوا برفقة أسرة إيمنان ولم يبق إلا العمال من الخدم و أمود لصغر سنه وظنا من المقاتلين الذين نفذوا العملية أنه كان ميتا فتركوه وكان في ذلك الوقت عمره لا يتجاوز 18 عام.

بعد ذلك وجد نفسه أمام مسؤولية كبيرة تتمل في قيادة قبيلته والدفاع عليها وحمايتها. فأرسل أمود طلبا استغاثيا إلى سلطان الهقار أهيتاغل زعيم قبيلة كيل غلا، يطلب منه أمود نجدته والدخول في حمايته فلبى أهيتاغل سلطان الهقار (زعيم كيل غلا) طلب أمود وانزله منزلة الأب لإبنه لحسن فطنة أمود المبكرة، وكثيرا ما يردد في أغلب مواقفه الأفكار التصالحية بين الأخوة الأعداء. ووضع حدا للقتال بين القبائل المتجاورة والمتصاهرة التي تجمعها رابطة الثقافة الطارقية وضرورة البحث والتحالف ضد عدو واحد هو الاستعمار الدخيل.

وفي سنة 1869 تزوج أمود بابنة عمه (1877إلى 1920)، وفي1880م بدأت السلطات العسكرية الاستعمارية محاولاتها لحشد قواتها العسكرية لاحتلال الصحراء الكبرى[1] ، حيث بعث الملازم الأول" بول فلاتيرز" أول بعثة للصحراء 1881م لكنها منيت بهزيمة شنيعة ، وقتل هذا الأخير بالقرب من الأغواط[2] ، وفي السنة نفسها وكان أمود قد جرح سابقا في لوح الكتف الأيمن في معركة شارك فيها "أهيتاغل" وفي وادي تين هيرت[3] ، وفيما بين 1877و1979م ذهب أمود الشيخ مرتين إلى عين صالح لمحاولة الصلح بين قبائل توات السفلى، وفي 1888و 1896م بدأت القوات الفرنسية في تطويق منطقة الهقار و التاسيلي–ناجر عن طريق بعثات" فور لامي ،فغادر الشيخ أمود تلك المناطق في 1889م نهائيا منطقة الهقار مع أعوانه وأتباعه

---

[1] إبراهيم العيد بشي، المقال السابق ،ص8.

[2] ابراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية،المرجع السابق ،ص 535.

[3] إبراهيم العيد بشي،المقال السابق ، ص 9.

من القبائل وفي سنة 1901م بعثت السلطات الفرنسية وفدا إلى الشيخ أمود قصد المفاوضات من أجل الصلح بين السلطات الفرنسية وبين الطوارق في كل من التاسيلي –ناجر والهقار[1] ، وفي سنة1902 شنت القوات الفرنسية هجوماعلى قرية"تيت"التي توجد بالقرب من ضواحي تمنراست فتلقت هزيمة نكراء،واستمر أمود في المقاومة حتى21 يناير من سنة1904م فقد تفاجأ الشيخ أمود بخبر مفاده أن "السلطان آق أماستان "وضع السلاح ورضي بالمفاوضة بين سكان الهقار والسلطات العسكرية الفرنسية، وقد تبعت أغلب قبائل الهقار نهج سلطانها "آق أماستان" فأعلن أمود من جديد الاستمرار الكفاح ومواصلة الجهاد ضد المستعمر وعدم الرضا بأية مفاوضات. وفي سنة 1908 م حاولت فرنسا الدخول من الهقار إلى واحة جانيت فتصدى لها المقاومون فهزمت وتقهقرت نحو منطقة الهقار[2] ، وفي سنة1909م رجعت القوات الفرنسية بعتاد وعدة كبيرة مرة ثانية إلى منطقة جانيت على إثر ذلك لجأ الشيخ أمود ومن معه من المحاربين إلى قمم جبال التاسيلي –ناجر ، وعبرها عبر ممرات وعرة ثم ظهر بعد ذلك في الأراضي الليبية محاربا ومقاتلا مع أتباع الطريقة السنوسية في جهادهم ضد الاستعمار الايطالي في واحة الكفره وواحة واو الناموس الليبية ظنا منه أن تضامنه ومساعدته للمجاهدين في ليبيا قد يساعده في زيادة تعاونهم معه في المستقبل لمحاربة القوات الفرنسية والتخلص من استعمارها لأراضي الجنوب الجزائري[3].

وفي سنة1911 تحرك الشيخ أمود بمساعدة ودعم أتباع الطريقة السنوسية لمحاصرة القوات الفرنسية في واحة جانيت ووقعت معركة شرسة في المكان المسمى إسولانحيث شددوا المقاومين الحصار على مدينة جانت ولم تستمر مقاومة الفرنسيين هذه المرة طويلا، إذ انهارت

---

[1] شوقي الجمل :المغرب العربي الكبير من الفتح العربي إلى الوقت إلى الحاضر(ليبيا ،تونس،الجزائر ،المغرب الأقصى)، المكتب المصري،القاهرة ،2007 ،ص282 .

[2] ابراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية،المرجع السابق ،ص536 .

[3] إبراهيم العيد بشي،المقال السابق ، ص 10.

أمام قوة الثوار وعزيمتهم مما أدى بالفرنسيين إلى الفرار من واحة جانت بعد تكيدهم الخسائر المادية والبشرية الكبيرة، وبعد رجوع الشيخ أمود إلى واحة جانيت منتصرا رأت القوات الفرنسية أن معنوياته عالية وأنه حصل على دعم إضافي من قبل ثوار السنوسية لذلك رأت بأن لا فائدة من بقاء قواتها في واحة جانيت فانسحبت تلك القوات الفرنسية بعد أن تلقت أضرار جسيمة، وبقيت واحة جانت مستعصية على المستعمرين إلى غاية 1915 [1]، بعد ذلك لجأ الشيخ أمود من جديد إلى واحة غات ثم إلى الأراضي الليبية في منطقة واو الناموس، في سنة 1912 استولى الايطاليون على واحة غات .

وفي سنة 1913م رجعت القوات العسكرية الفرنسية إلى واحة جانيت تحت قيادة الجنرال "لابيرين" فلم تجد أمود هناك، وبدأت القوات العسكرية الفرنسية في نشر مظالمها مما تسبب في تشرد قبائل التاسيلي–ناجر[2]، فسمع الشيخ أمود بخبر الظلم والتعسف من قبل القوات الفرنسية اتجاه السكان في كل مناطق التاسيلي–ناجر، فقام الشيخ أمود بمهاجمة القوات الفرنسية من جديد واشتبك معها في معركة "إيسين" فهزمت القوات الفرنسية في هذه المعركة وتقهقرت تلك القوات نحو منطقة الهقار مدحورة من شدة مقاومة الشيخ أمود ، كما علم الشيخ أمود في سنة 1914م بطلب السلطات العسكرية الفرنسية من آق أماستان أن تنصبه سلطانا رسميا على منطقة الهقار، وتنصيب "بيلو" قائدا على منطقة تيديكالت عين صالح أن يساعدوها في مفاوضاتها مع الشيخ أمود [3]، فتم اللقاء فمنطقة تين أغيلان (قرب جانيت)فرفض أمود رفضا قاطعا ذلك اللقاء التفاوضي ، مم أدى ذلك إلى توتر العلاقة والصداقة بينه وبين موسى آق أماستان وأصابها الفتور نتيجة لذلك الموقف من هذا الأخير لتقاربه من السلطات الفرنسية.

---

[1] عبد السلام بوشارب، الهقار أمجاد وأنجاد، المرجع السابق،ص207.

[2] يحيى بوعزيز،ثورات الجزائر في القرنين (19 و20) ،ط1 ،المرجع السابق ،ص645 .

[3] إبراهيم مياسي، مقاربات في تاريخ الجزائر،المرجع السابق ، ص164.

وفي سنة1915 جرت معركة في واحة جانيت في 13أكتوبر 1915 تحت قيادة الشيخ أمود بن المختار و وقد شارك في هذه المعركة مجموعة من المقاومين الموالين لقائد المقاومة إبراهيم أق أبكده ، وفي سنة 1916 نشأت مقاومة من قبائل الهقار ضد المتمردين على السلطات الفرنسية وفي "آن غيرو" 3 ديسمبر 1919 مهاجمة قافلة إمداد متجهة إلى برج بولنياك قتل فيها فرنسيان و الكثير من رجال الحراسة ،وترك الباقي بعد أن سلما أسلحتهم وكانت هذه القافلة مهمة جدا كونها تحمل مؤونة معتبرة ، وأدوية إلى برج بولنياك ، وعاهدت آق أماستان أن تساعده في مقاومة الأعداء في منطقة الهقار وفي سنة1918 رجعت فلول الجيوش الفرنساوية بكل قواتها ومعها آق أماستان الذي أسندت له المقاومة في منطقة الهقار ، تحت قيادة الملازمين "قارديل" و"شارلي" ، فانهزم الأول في معركة وقعت في جانيت، فرأى الشيخ أمود أن كثيرا من المدنيين قد تضرروا من جراء القتال في الواحة فأمر أمود الشيوخ والنساء والأطفال بالخروج من واحة جانيت حتى لا يتعرضوا لمكروه من جراء القتال بين قواته والقوات الفرنسية [1].

أما فرنسا فقد جمعت قواتها خارج واحة جانيت في منطقة (أدمر)في النواحي القريبة منها وحاولت القوات الفرنسية أن تنصب كمينا لقوات أمود في منطقة (اسكاو) في خلال سنة1920 فعلم أمود بذلك بأنها مخادعة مفضوحة من فرنسا وحليفها آق أماستان فتوجه بعد ذلك لمحاربتها ودارت معركة بين القوات الفرنسية واستمرت المعركة 15 يوما بين فرنسا وجماعة أمود، أدت إلى فرار الكثير من القوات الفرنسية من ميادين المعركة[2].

وبعد أن طال أمد المعركة وتناقص رجاله وأصابهم الضعف ، استشار الشيخ أمود أحد أعوانه في ذلك الوقت وهو إبراهيم بن أبكده وأصحابه ، ونظر الشيخ أمود نظرة مطولة إلى

---

[1] إبراهيم العيد بشي، المقال السابق،ص13.

[2]بوزيد سبابو مريم، المرجع السابق،ص3.

جموع السكان من النساء والأطفال والشيوخ وشاهد الضعف و الأعياء الذي أصابهم من جراء التشرد في الصحراء وقلة المؤن أصبح يميل أكثر إلى قبول التفاوض، فقد نقل عنه أنه بعد أن جمع أتباعه قال لهم :" إن فرنسا أضافت إلى القوة العسكرية الضخمة سلاحا آخر هو إخواننا المتمرنين على صعود الجبال والقتال فيها من الحركة والعملاء (يقصد هنا أتباع آق أماستان) ونحن الآن فقد ضعفت قوتنا ونقص عددنا وما بقي لنا من سبيل في الاستمرار في القتال إلا بالتفاوض، فأنت يا"إبراهيم أبكده" أمرتك أن تتفاوض مع فرنسا للصلح وأن تحمي المدنيين الضعفاء" ، وأشار أمود إلى "المختار بن ديدي" وهو أحد أعوانه قائلا:" ارجع مع هذا القوم إلى جانيت فلا تخشى أن فرنسا إذا رأتك فتحصلك قائد لكي تكون رحمة إلى هذا الشعب، أما أنا فلا يمكن لي أن أتصافح مع فرنسيا ، ولا أن أتفاوض معه والصلح ليكون إلا بالبندقية" ، وفي جانفي 1920م احتلت فرنسا واحة جانيت وبقيت القوات والإدارة الفرنسية فيها مسيطرة على كل الميادين إلى غاية سنة 1962.

وعلى إثر ذلك قامت السلطات الاستعمارية بعقد لقاءات عديدة مع المتمردين عليها من الطوارق فكان لقاء" تارات سنة1919م" بين الفرنسيين والقائد إبراهيم أق أبكده، وتضمن اللقاء احتفاظ المقاومين الطوارق بسلاحهم وعدم مصادرته في أي حال من الأحوال، ويبدو أن الفرنسيين يريدون من وراء ذلك بعث الهدوء والطمأنينة بين الطوارق حتى لا يثورون عليها، كما التزمت القوات الفرنسية بعدم ملاحقة أي مقاوم ينتمي لمجموعة القائد إبراهيم أق أبكده ، والتزم الفرنسيون بترك الطوارق أحرار في مناطقهم ، وأن لا تكون أي سلطة للاستعمار الفرنسي على منطقة التاسيلي –ناجر[1].

وبعد تظاهر الفرنسيون بالموافقة على كل الشروط المذكورة سلفا وافق قائد المقاومة إبراهيم أق أبكده على الدخول في سلام مع الفرنسيين ما لم يظهر له العكس وقد التقى الطرفان في

---

[1] إبراهيم العيد بشي، المقال السابق،ص14.

عين صالح، وأما اللقاء الثاني فقد كان في واحة جانت سنة 1920م وبعد مرور سنة من لقاء عين صالح الذي نظمته قيادة القوات الاستعمارية تلاه لقاء جانت وبالتحديد في مكان المسمى تين غيلان والذي حضره كل من زعماء الهقار، وتوات ، والتاسيلي –ناجر ممثلا في كل من أمنوكال(تعني هذه الكلمة الزعيم) قبيلة إيمنان الشيخ أمود بن المختار وزعيم قبيلة أوراغن إبراهيم أق أبكده ومواليه، أين وقعت حادثة وضع اللثام للفرنسي الذي حضره اللقاء من قبل زعيم الهقار موسى آق أماستان ليصافحه الشيخ أمود ويعلن معه السلم ، ونظرا لفطنت هذا المجاهد الذي قطع العهد على نفسه أن لا يصافح بيده يد كافر محتل لبلده، وعند تفطنه لهذه عاد الشيخ أمود دون مصافحة المحتل الكافر ، ومن تين غيلان توجه الرجل إلى منطقة الغريفة بواحة أوباري الليبية إلى أن وفته المنية هناك سنة 1928[1].

وكان قبل ذلك قد قام الشيخ أمود بتسليم كل الوثائق الرسمية المتعلقة بالإدارة التركية وخاتم المحمية إلى إبراهيم آق أبكده، وأوصاه بقبيلته إيمنان أن يوفر لها الحماية وتكون تحت سلطتها أي سلطة إبراهيم أق أبكده، وبعد وفاة هذا البطل تنقل ما بقي من عائلة ايمنان من فزان إلى جانيت سنة 1929م ، وقد جري لقاء ثالث في واحة بسكرة سنة 1924 م بين إبراهيم أق أبكده و الفرنسيين .

بعد اللقاء في منطقة تارات سنة1919 م بين الفرنسيين والقائد إبراهيم أق أبكده نظم لقاء جهوي في واحة بسكرة ضم كبار مشايخ وقياد قبائل الصحراء ومنهم وبالخصوص قائد منطقة التاسيلي– ناجر إبراهيم أق أبكده وبرفقة كبار مشايخ الطوارق أزر ومنهم موسى أق برسوله ، وتاخمادة أق أخور[2]، وتشير بعض المصادر الشعبية المقربة من إبراهيم أق أبكده قد أثار جدلا كبيرا حين رفض التوقيع على الوثيقة المقدمة لكل القياد على أن يكون آخر من يوقع

---

[1] مريم سبابو، المرجع السابق،ص4.

[2]إبراهيم العيد بشي، المقال السابق،ص ص16-17.

عليها إبراهيم أق أبكده وكان له ذلك فقد بادر بأن يصبغ ذراعه بالحبر ويضعه كامل على الوثيقة بعد تم التوقيع عليه من قبل كل الحاضرين ، وردد مقولته الشهيرة: (لولا قوة المقاومة لما كانت هذه الوثيقة والتي تعبر على السلام ولا عن الاستسلام[1].

بعد مقتل الكولونيل فلاتيرز وبعثته في 16 أفريل 1881 اعتبرت فرنسا ذلك إبادة لتلك البعثة، في حين انعكست ذلك على مقاومة الثوار الطوارق في الصحراء الكبرى إيجابيا وبالخصوص منطقة أزجر و الهقار وكانت بداية مرحلة ونفس جديد من المقاومة ضد الاستعمار وهذا ما أوقف طموحاته لمدة زمنية معتبرة منها:

- معركة إيسين الأولى سنة 1914م :

وقعت أحداث هذه المعركة بعد احتلال منطقة إيسين الواقعة بين الحدود الجزائرية الليبية ونتجتا لهذا الاحتلال وجد إموهاغ أنفسهم أمام الاستعمار الفرنسي والايطالي وما عليهم سوى المقاومة ليخوضوا معركة شرسة رغم عدم التكافؤ في العدد والعدة وبقيادة السلطان انقدزان، وقد قدر عدد المجندين الفرنسيين في صفوف القوات العسكرية الفرنسية بسبعمائة مقاتل في حين يقارب عدد المقاومين من الطوارق ثلاثمائة مجاهدا مما أوقع الكثير من الخسائر في صفوف ألمجاهدين ومع هذا استطاع المجاهدين إيقاع خسائر فادحة بين صفوف المجندين الفرنسيين التي بلغ عدد قتلاهم أكثر من مئتي قتيل وإبادة إبلهم حتى لا يتمكنوا من الفرار. وبلغت خسائر المجاهدين ستون شهيدا[2].

---

[1] إبراهيم مياسي،الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ، المرجع السابق،ص541.

[2]إبراهيم العيد بشي، المقال السابق،ص ص16-17.

مقاومة الزعيم إبراهيم آق أبكدة:

من القادة البارزين الذين عرفوا بمقاومتهم الشديدة للمستعمر في المنطقة وقد استطاع بفضل ذكائه و شجاعته أن يكتسب نفوذا قويا لدى قبائل المنطقة وهذا ما جعله يمثل أكبر معارض و مقاوم للاستعمار الفرنسي ومن أشهر المعارك التي خاضها البطل الثائر معركة تارات في سنة 1916 م فقد جرت أحداث في وادي تارات في المكان المسمى (تين أراج) و تحت قيادة زعيم قبيلة أوراغن إبراهيم أق أبكده* في منطقة التاسيلي –ناجر. حيث حاصروا فرقة عسكرية فرنسية في ذلك المكان و قد سقط فيها جنديا قتيلا من تلك الفرقة وتسللت العناصر الباقية على قيد الحياة إلى منطقة وادي اميهرو غربا[1] ومنه استمرت عناصر تلك الفرقة في السير نحو منطقة تورست وبالمكان المسمى (إسلاسلان) حيث دارت معركة شرسة وقتل فيها اثنين من المجندين في صفوف القوات الفرنسية وهما (بوعيشة وبوجمعة) وأسر خمسة آخرين من المجندين وبنفس الوادي (وادي اميهرو) تمكن المقاومون من قتل مجندا آخر في صفوف القوات الفرنسية لم نتمكن من معرفة اسمه وتم غنم كمية كبيرة من مختلف قطع الأسلحة ا[2].

وتشير المصادر الشعبية أن المعركة التي دارت بين الفرنسيين والثوار الطوارق في بئر تبلبالت تحت قيادة الزعيم إبراهيم آق بكده الذي يقود المقاومة الشعبية في المنطقة رفقة مجموعة من الثوار،الذين كبدوا في تلك المعركة خسائر فادحة و تم قنص أحد الجنود الفرنسيين و بقيت جثته مقبورة في المكان إلى اليوم من الشواهد على تلك المعركة وتم فيها أسر عشرة من جنود العدو الفرنسي وغنم 161 جملا و ما عليها من المؤن والعتاد [3]مع إطلاق سراح

---

* قائد مقاومة طوارق الطاسيلي ناجر من قبيلة أوراغن،ولد في عام 1885 بتميرة أهرهر في إليزي وانطلقت مقاومته من 1916 إلى1919وتوفي في عام1982.(أنظر مقال ،إبراهيم العيد بشى)

[1] عبد السلام بوشارب، المرجع السابق،ص104.

[2]إبراهيم العيد بشي، المقال السابق،ص ص16-17.

[3] إبراهيم مياسي، مقاربات في تاريخ الجزائر،المرجع السابق ، ص164.

خمسة عشر عامل لدى الفرنسيين مكلفين بأعمال غير عسكرية ليعود أدراجهم نحو معسكر تاكت (عين الحجاج) ،وبعدها سلك المقاومون الطريق نحو وادي ماستان مرورا بينابيع تايناويف أين حاصرهم العدو الفرنسي ودارت معركة استمرت ليلة كاملة قتل فيها واحد و ثلاثون من المجندين في الجيش الفرنسي ومن ضمنهم ضابط و أسر أربعة عشر مجندا ، واستشهد فيها اثنين من المقاومين عن طريق الخطأ بنيران صديق لهما ، ومن ضمن مجموع الجنود الفرنسيين أربعة عشر جنديا ستة منهم تم القضاء عليهم و قتلوا والباقي من الجنود قتلوا فيما بعد ورغم ذلك تمكن جندي من الفرار نحو معسكر الفرقة الفرنسية في "تاكت" (عين صالح) حيث أخبر الضابط الفرنسي المسؤول عن تلك الفرقة بإبادة زملائه ولم يبق أحد سواه من تلك الفرقة .

ومن أشهر المعارك التي خاضها البطل الثائر وحقق فيها انتصارات ساحقة على المستعمر نذكر ست معارك جرت في كل من :

-عين نمجر: في 12 جويلية1916 .

-واد احان: في 9سبتمبر1916 .

-عين زاباط:في 27 أكتوبر1916 .

-عين غوفو:في 8 ديسمبر 1916 .

-قاعدة عين لحجاج:في 23 فيفري 1917 .

-تنذروف:في 12 جوان1917[1].

---

[1] عبد السلام بوشارب،الهقار أمجاد وأنجاد، المرجع السابق،ص105.

ومما يروى عن مآثر هذا الزعيم القائد أنه كان بمجرد الانتهاء من المعركة يستقبل بنفسه الجرحى ويقوم بعلاجهم ،وما يشفوا حتى ينظم مجموعة عسكرية ويقوم بمهاجمة أقرب مركز فرنسي .

مقاومة أحمد سلطان والشيخ عبد السلام :

أعلن المجاهدان "أحمد سلطان"و"الشيخ عبد السلام"من زعماء سكان المنطقة الحرب ضد الاحتلال الفرنسي و تصدوا لزحف جيش الاحتلال فسلحوا جنودهم بالبنادق والمدفعية التي انتزعوها من الجنود الإيطاليين الذين احتلوا ليبيا عام 1912 واتجهوا نحو واحة جانيت أين كان يوجد بها مركز عسكري فرنسي بقيادة الضابط "لوران لابيير" Larenent Lapierre " فحاصروا المركز مدة ثمانية أيام ،يوم 6 مارس 1916 وقبل البدء بالهجوم عليهم بعث الشيخ عبد السلام برسالة إلى الضابط الفرنسي يحثه فيها على الاستسلام إلا أنه رفض فعندئذ أمر الشيخ بمهاجمة الحصن بالرصاص والمدفعية وتبادل الطرفان إطلاق النار إلا أن الغلبة في النهاية كانت للثوار الجزائريين إذا تمكنوا من اقتحام حصن جانيت[1] وانسحب "لابيير" رفقة الجنود الذين بقوا معه من الفرنسيين و الصباحية نحو حصن بولينياك الموجود بإليزي وعندما وصلوا فوجئوا بثوار عبد السلام يحاصرونهم من كل جانب ، فاستسلم الضابط لابيير والتحق معظم الصباحية الذين كانوا معه بالثوار،فأسروه وكرد فعل على هذه العملية سيرت السلطات العسكرية عليه إلا بعد معركة دامية انسحب إثرها الشيخ عبد السلام وأحمد سلطان رفقة جنوده إلى تاغيت وفي عام 1917 كون أحمد سلطان قوة تتكون من حوالي 300 شخص وبادر بالهجوم على مراكز العدو إلى أن تمكنت منه فرنسا ،وفي نفس الوقت الذي كان فيه طوارق جانيت يحاربون العدو كانت الثورة مشتعلة في الهقار [2] ،فقام ثوارها 1916 بقتل الأب "دي

---

[1] بشير كاشه الفرحي ، وقائع وأحداث ليل الإحتلال الفرنسي للجزائر (1830-1962)،2007،ص100.

[2] رابح لونسي وآخرون:تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989) ،ج1، دار المعرفة ، الجزائر،2010 ،ص207.

فوكو "الذي كان يعمل لصالح الجيش الفرنسي في الصحراء متسترا وراء الأعمال الخيرية و كان مقتله بداية لثورة كبيرة في الهقار دامت إلى غاية 1919 .

مقاومة كاوسن:

تزعم القائد كاوسن الطارقي المقاومة ، وهو من الطوارق يقطن في منطقة الآير و هو من أشدهم بأسا وأكثرهم حماسا لمحاربة الفرنسيين و مقاومة استعمارهم وتسلطهم وتوسعهم في الصحراء ويتسم بالذكاء و الحيوية وعمل مدة تحت قيادة سي العابد السنوسي ، وفي أواخر عام 1919 غادر كاوسن منطقة الآير و اتجه نحو أقاديس بالجنوب وحاصرها يوم 13 ديسمبر حيث قتل 3ضباط،و3 مساعدين ضباط ،و56 من جنود الرماة [1] واضطرت القوات الفرنسية أن تقوم بتخصيص كتيبتين لمطاردته بقيادة كل من" مورينا "و"بيرجي" حيث وصلتا يوم 3مارس 1917 وفكت الحصار على الواحة وقتلت الكثير ثم شرعت في ملاحقة كاوسن و رفاقه وخسر هذا الأخير كمية من الأسلحة والذخائر المتنوعة ، ولكنه ظل يحارب بكل قوة حيث أرسلكاوسن إلى الأمينوكال موسى آق أماستان بعدة رسائل حاثا إياه على الإنضمام إلى حركة الثوار و التخلي عن الفرنسيين فرفض وأصر على ولائه لهم ،و هذا ما دفع بالضابط كاوسن يبحث عن وسيلة لبث الشكوك لدى الفرنسيين اتجاه حليفهم أماستان و خطط لقتل شارل دي فوكو مما أثر في نفوس رجال السياسة و تم إلقاء القبض على كاوسن ونفذ فيه حكم الإعدام ا[2] ورغم تعاون أمينوكال الهقار موسى آق أماستان مع الفرنسيين في مطلع القرن الحالي ونشاط الراهب المخبر العسكري "شارل دي فوكو "في منطقة الهقار ،فإن الطوارق لم يترددوا في مقاومة السيطرة الفرنسية الاستعمارية لبلادهم ،ووجدوا في أحداث الحرب العالمية الأولى فرصة لتكثيف لمقاومتهم السياسية والعسكرية ،وقد تشجع الطوارق للتعاون مع المقاومين السنوسيين و

---

[1] بشير كاشه الفرحي ، وقائع وأحداث ليل الإحتلال الفرنسي للجزائر (1830-1962)،2007،ص100.

[2] يحيى بوعزيز :انتفاضة الطوارق بآجر والهقار 1916-1919 ،مجلة الثقافة ، ع93 ،الجزائر ص179.

ثوارالشعانبة ، وانظم إليهم الجنود الفارين و الهاربين[1] ، وظهرت حركة تمرد واسعة في أوساط الطوارق خلال الحرب ولعل من بين العوامل المساعدة أيضا على انتفاضة الطوارق صدور قانون التجنيد الإجباري سنة 1912 والذي عمق من ردود الفعل الجزائرية.

هل الشيخ أمود، وإبراهيم آق بكدة ،وغيرهم ممن اختاروا المقاومة لا يعلمون أن الآلة العسكرية و السياسية الفرنسية التي هيمنت على كل العالم من حولهم ،أنها تفوقهم عددا وعدة و لا مجال لأي احتمال الانتصار عليها أو منعها من التقدم ؟ وأنها ستتغلب عليهم وتقهرهم طال الزمن أو قصر حتى لو كان الثمن إبادة كل ما في الأرض ومع ذلك اختاروا طريق المقاومة العنيفة و المباشرة بأبسط الوسائل وأقل عدد من المشاركين ، وهل يتمنون التضحية والمعاناة بخيرة رجالهم و أبنائهم ؟ ولماذا كل هذه الاستماتة على الأرض رغم أن الإدارة الفرنسية قد عرضت في أكثر من مرة التفاوض والخضوع وهل موسى الذي اختار الخضوع و التعاون مع السلطات الفرنسية يعرف مصلحة بلاده أكثر من غيره ؟ أم ذلك لأغراض ذاتية و رغبة ظرفية في التعامل مع الفرنسيين ؟ وهل هؤلاء يحبون بلدهم أكثر منه ؟أم أنه يدرك حجم قد العدو منهم[2].

ورغم تعاون أمنوكال الهقار موسى آق أمستان مع الفرنسيين في مطلع القرن الحالي ونشاط الراهب المخبر العسكري شارل دي فوكو في منطقة الهقار[3]،فإن الطوارق لم يترددوا في مقاومة السيطرة الفرنسية لبلادهم ووجدوا في أحداث الحرب العالمية فرصة لتكثيف مقاومتهم السياسية والعسكرية.[4]

---

[1] بشير كاشه الفرحي ، وقائع وأحداث ليل الإحتلال الفرنسي للجزائر (1830-1962)،2007،ص100.

[2] رابح لونسي وآخرون،المرجع السابق ،ص207.

[3] عبد الحميد زوزو :نصوص ووثائق من تاريخ الجزائر المعاصر(1830-1900)،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،1986 ،ص143.

[4] يحيى بوعزيز،موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر،المرجع السابق،ص267.

ثالثا: نتائج المقاومة الطارقية:

كانت هذه المقاومة استمرارية للمقاومات الشعبية التي عمت الجزائر خلال النصف الثاني من القرن العشرين، وهكذا لم تتوقف ردود فعل سكان الهقار من التواجد الفرنسي واستمرت على شكل حرب العصابات ضد قوافل التموين الفرنسية بالمنطقة ، لكن عمر المقاومة لم يدم طويلا وأخذت تضعف تدريجيا بعدما استطاعت فتح المجال للعمل السياسي الذي أخذ به الجزائريون و بذلك ركزت أكثر من أي وقت مضى على أطروحاتها العسكرية في الجنوب وخصوصا بعد القضاء على المعارضة الطارقية .

وقد تركت ردود فعل سكان الهقار 1916 نتائج يمكن إدراجها في النقاط التالية :

-1- إضفاء الطابع الوطني على انتفاضة الطوارق وتلاحم القبائل مع بعضها البعض لمقاومة التوسع الفرنسي لاستكمال احتلال الجزائر شمالا وجنوبا.

-2-تعميق التلاحم الوطني في إقليم الجنوب الكبير والتصدي لمشروع التقطيع الإقليمي الذي راهنت عليه الإدارة الاستعمارية .

-3-الرفض القاطع لسياسة الإلحاق الثقافي و الذي راهن عليه "دي فوكو"بعد استقراره في تمنراست ، ولقد لقي جزاءه الاغتيال .

-4-تعلق الجنوب الكبير بمبادئ الجامعة الإسلامية وتعاون الطوارق مع الحركة السنوسية التي رفضت الهيمنة الاستعمارية سواء في الأراضي الليبية أو الجزائرية .

-5-تثبيت الطوارق للحدود الجزائرية عبر الجنوب الكبير وتمسكهم بأرضهم واستقرارهم بها وكل ذلك ساعد على ترسيم الحدود الإقليمية مع البلدان المجاورة.[1]

---

[1] أحمد مريوش ،المرجع السابق،ص ص 141-142.

إن منطقة الهقار برغم بعديها الجغرافي و الزمني عن مجريات الأحداث التي شهدها الشمال الجزائري منذ الإحتلال إلى بداية القرن العشرين ،فإن سكان المنطقة لم يكونوا بمعزل عن تلك الأحداث وعرفت مقاومات عنيفة رافضة للتواجد الفرنسي داخل أراضيها وكانت قد حققت النصر كباقي المقاومات التي عرفتها الجزائر خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين رغم قلة الكفاءات القيادية و الوسائل مقارنة بالعدو إضافة لظروف الصحراء القاسية.

الملحق رقم08 (1+2+3)

الراهب الجاسوس «شارل دي فوكو»

المرجع:عبدالسلام بوشارب،الهقار أمجاد وأنجاد،المتحف الوطني للمجاهد،الجزائر،1995،ص112

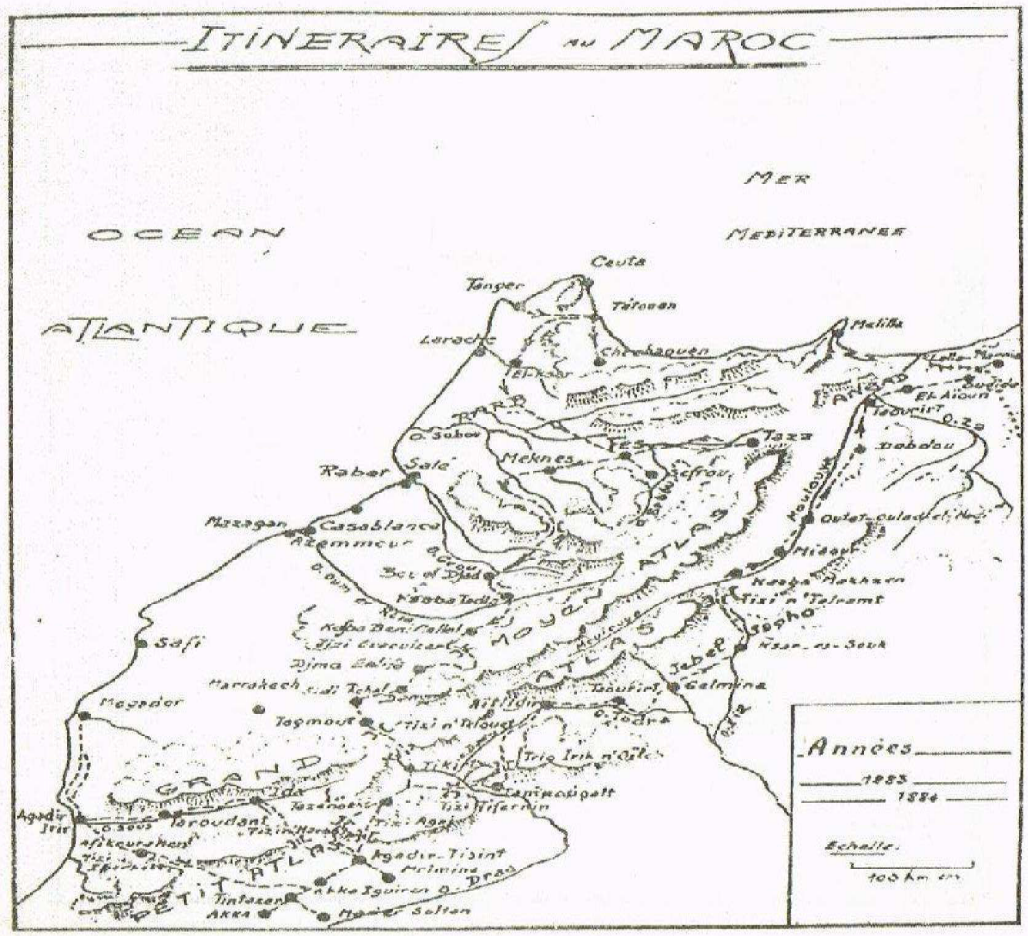

مسار الأب دي فوكولد أثناء مغامرته بالمغرب

1884-1883

المرجع:حسن مرموري ،التوارق ما بين السلطة التقليدية والادارة الفرنسية في بداية القرن العشرين، المجلس الاعلى للغة العربية ،الجزائر ،2010،ص4114

الملحق رقم :03

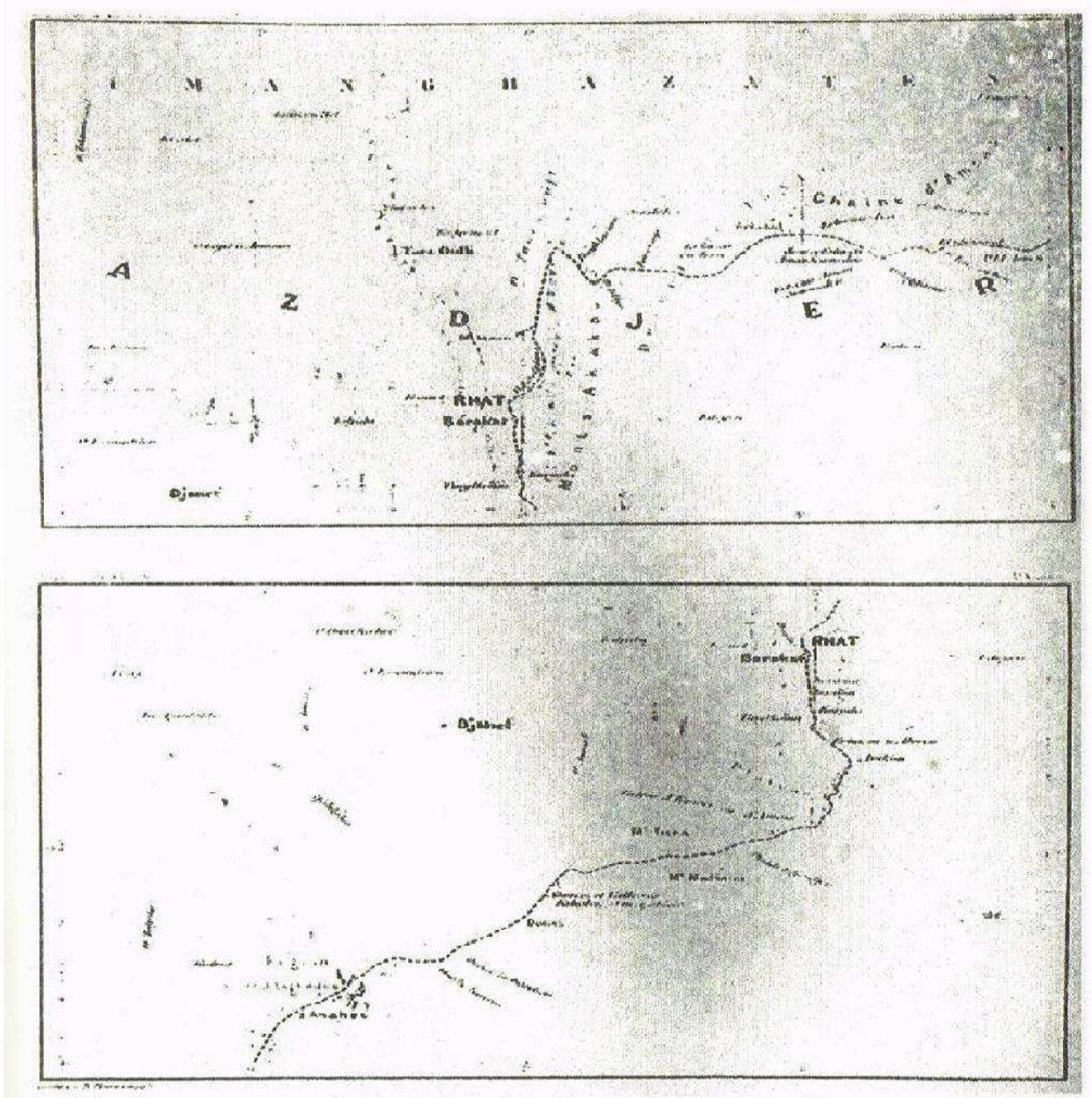

مسار بارث ووفاته

المرجع:حسن مرموري ،التوارق ما بين السلطة التقليدية والادارة الفرنسية في بداية القرن العشرين، المجلس الاعلى للغة العربية ،الجزائر ،2010،ص448

رقم :2 (1 الملحق +2+3+4)

يزخر التراث الحضاري لمنطقة الهقار بمصنوعات تقليدية أبدعت فيها الأنامل التارقية وأخرجتها على درجة عالية من الزركشة والاتقان

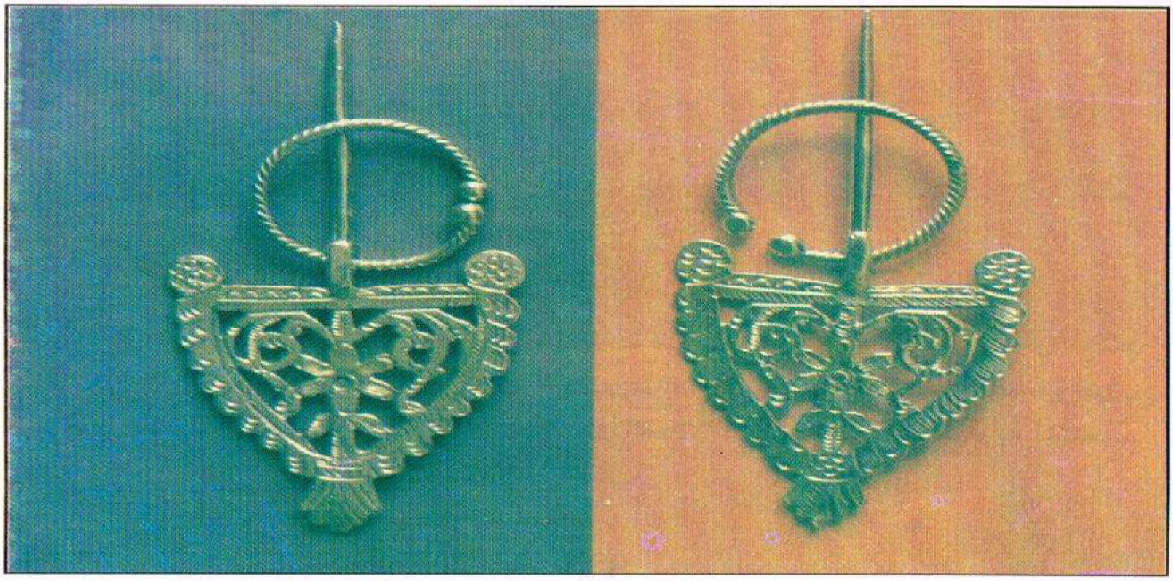

المرجع:عبد السلام بوشارب :الهقار امجاد وانجاد،المتحف الوطني للمجاهد ،الجزائر ، 1995ص64

الملحق رقم :05

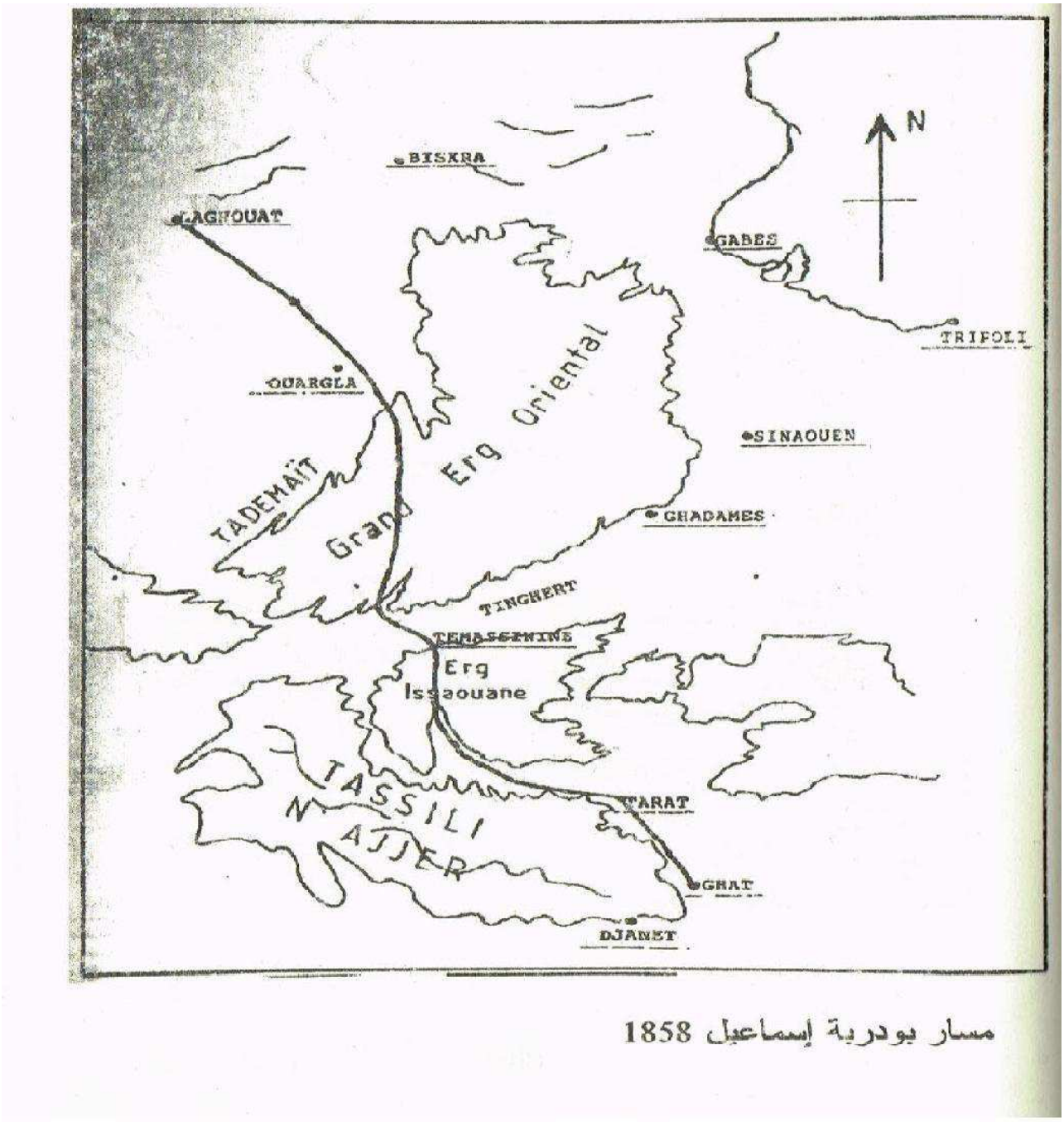

مسار بودربة إسماعيل 1858

المرجع:حسن مرموري ،التوارق ما بين السلطة التقليدية والادارة الفرنسية في بداية القرن العشرين، المجلس الاعلى للغة العربية ،الجزائر ،2010،ص449

الملحق رقم :4

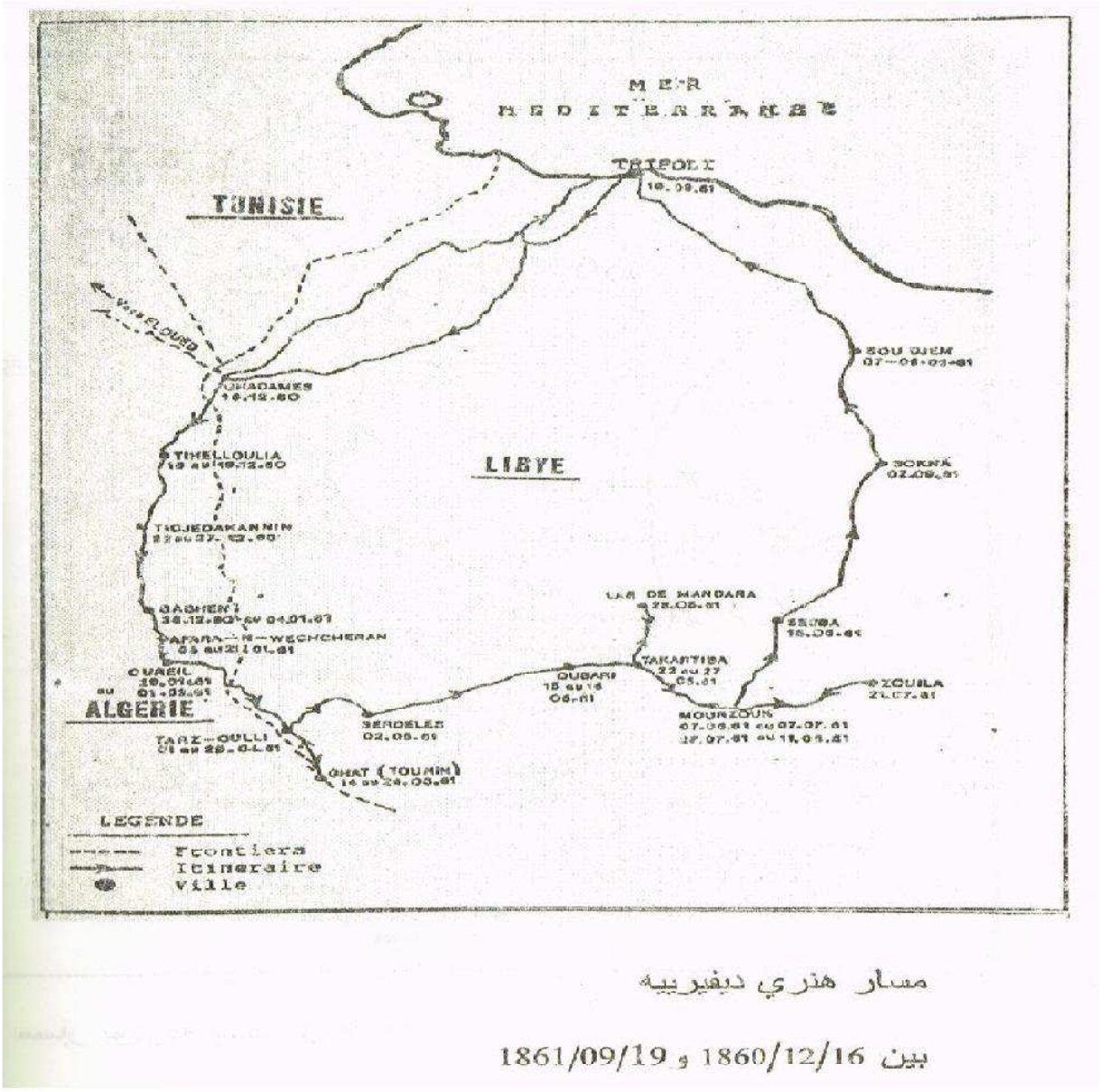

مسار هنري دبفيريبه

بين 1860/12/16 و 1861/09/19

المرجع:حسن مرموري ،التوارق ما بين السلطة التقليدية والادارة الفرنسية في بداية القرن العشرين، المجلس الاعلى للغة العربية ،الجزائر ،2010،ص450

الملحق رقم: 07 (2+1)

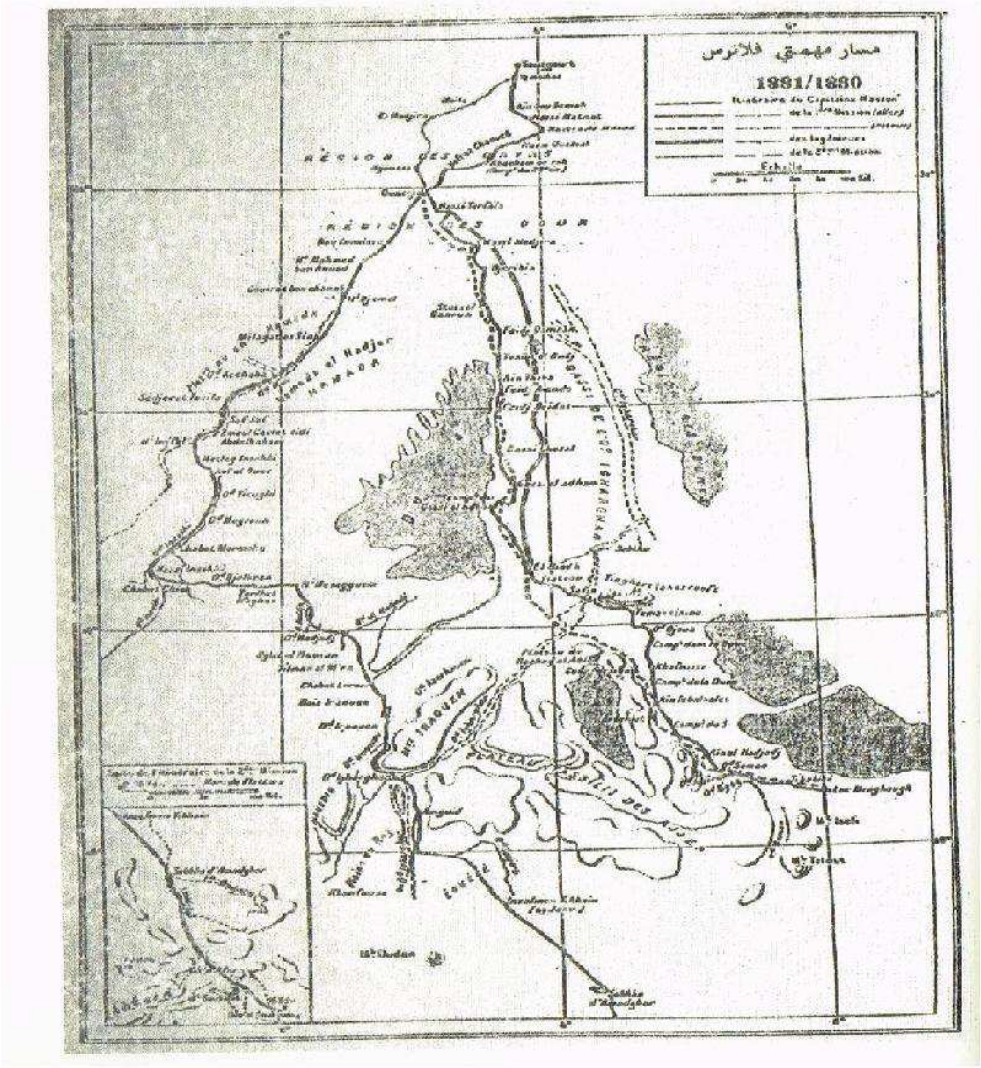

المرجع:حسن مرموري ،التوارق ما بين السلطة التقليدية والادارة الفرنسية في بداية القرن العشرين، المجلس الاعلى للغة العربية ،الجزائر ،2010،ص453

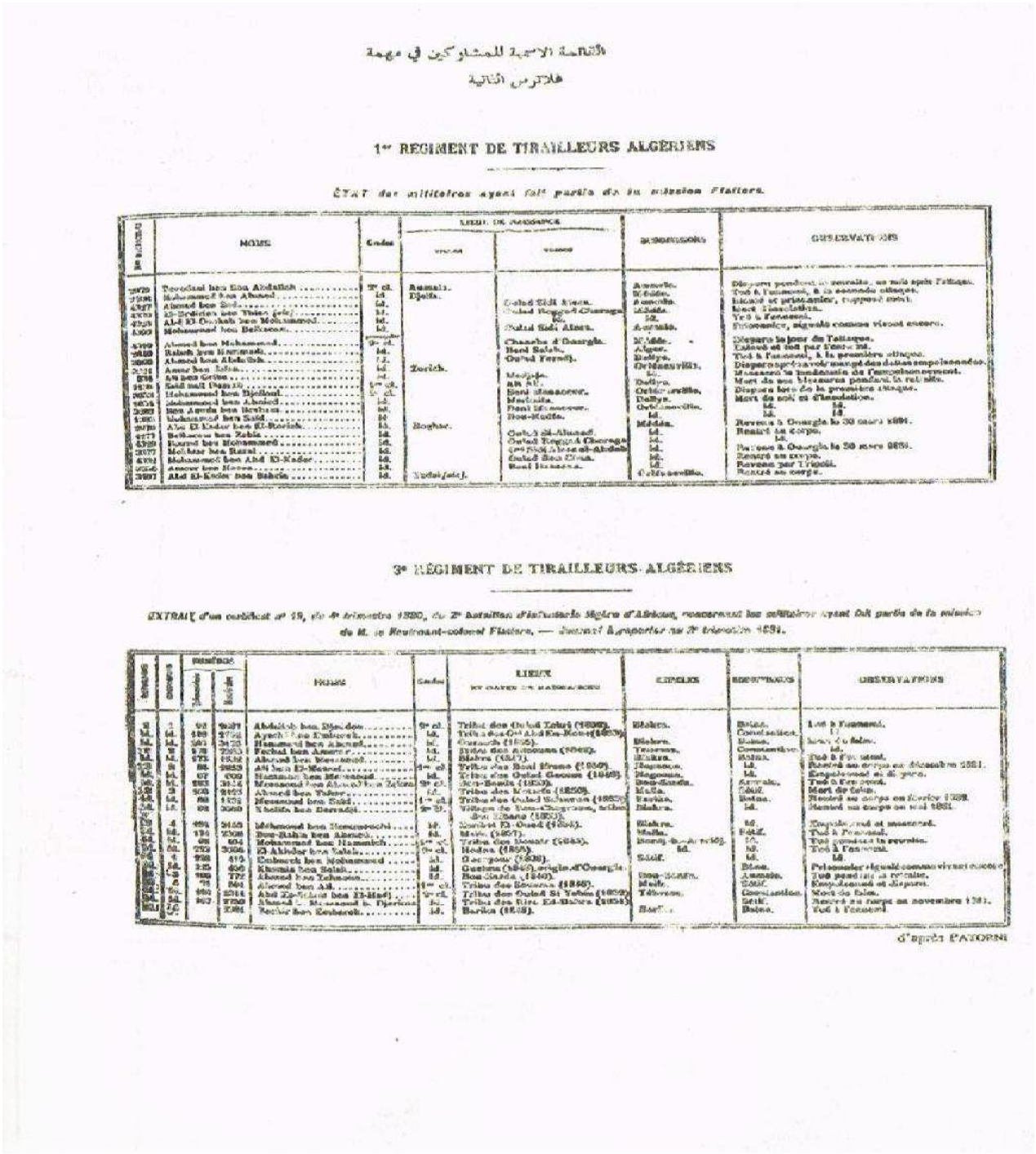

القائمة الاسمية للمشاركين في مهمة
فلاترس الثانية

1er REGIMENT DE TIRAILLEURS ALGERIENS

ÉTAT des militaires ayant fait partie de la mission Flatters.

N° matricule	NOMS	Grades	LIEU DE NAISSANCE		RÉMUNÉRATIONS	OBSERVATIONS
			Tribus	Villes		
2979	Tayeb-al ben Ben Abdallah	2e cl.	Ksours.		Ksours.	Disparu pendant la retraite, au sud-est Tidikelt.
2598	Mohammed ben Ahmed	id.	Djelfa.		Djelfa.	Tué à l'ennemi, à la seconde attaque.
4327	Ahmed ben Sedi	id.		Caïdat Sidi Aïssa.	Laghouat.	Laissé à Ouargla, rapatrié malade.
4008	El-Brahim ben Thaïr, gdi	id.		Caïdat Reggad-Ouargla.	Médéa.	Rayé d'office.
4758	Ali El-Ouchah ben Mohammed	id.		id.	id.	Tué à l'ennemi.
4303	Mohammed ben Belkacem	id.		Caïdat Sidi Aïssa.	Aumale.	Prisonnier, signalé comme vivant encore.
4799	Ahmed ben Mohammed	2e cl.		Chaouche d'Ouargla.	M'Sila.	Disparu le jour de l'attaque.
4818	Rabah ben Mohammed	id.		Beni Salah.	Alger.	Tué à l'ennemi, à la première attaque.
2668	Ahmed ben Abdallah	id.		Caïdat Ferad.	Biskra.	Disparu après avoir rempli des distributions importantes.
2016	Amar ben Salah	id.	Zerdeb.		Ouargla.	Manquait à l'appel du rapatriement.
598	Ali ben Grine	id.		Medjeda.	id.	Mort de soif, au retour.
3128	Said mali Dam El	1re cl.		Ait Ali.	Médéa.	Disparu lors de la première attaque.
2878	Mohammed ben Djellaul	id.		Beni Abassour.	Orléansville.	Mort de soif, au retour.
1854	Mohammed ben Ahmed	id.		Mechalia.	Dellys.	Id. id.
2283	Ben Aouda ben Brahim	id.		Beni Mansour.	Orléansville.	Id. id.
1486	Mohammed ben Said	id.		Bou-Kadir.	id.	Revenu à Ouargla le 30 mars 1881.
2078	Ali El-Kader ben El-Kouïdi	id.	Boghar.		Médéa.	Rentré au corps.
4773	Belkacem ben Zekia	id.		Caïd Ali-Ahmed.	id.	Id.
4309	Saoud ben Mohammed	id.		Caïdat Reggad-Ouargla.	id.	Rentré au corps.
2077	Mokhtar ben Saad	id.		Caïdat Ben Aïssa-el-Abdeli.	id.	Revenu par Tripoli.
4701	Mohammed ben Abd El-Kader	id.		Caïdat Ben Ouis.	id.	Rentré au corps.
4966	Ameur ben Hocen	id.		Beni Hassana.	id.	Rayé d'office.
2997	Abd El-Kader ben Bakria	id.	Tadjadjet.		Orléansville.	

3e RÉGIMENT DE TIRAILLEURS ALGÉRIENS

EXTRAIT d'un certificat n° 19, du 4e trimestre 1880, du 2e bataillon d'infanterie légère d'Afrique, renseignant les militaires ayant fait partie de la mission de M. le Lieutenant-colonel Flatters. — Journal à reporter au 3e trimestre 1881.

N° matricule	Classe	RÉMÉRO		NOMS	Grades	LIEUX	CERCLES	RÉMUNÉRATIONS	OBSERVATIONS
91	2	91	2037	Abdelkrib ben Ben-don	2e cl.	Tribu des Ouled Zekri (1880).	Biskra.	Retenu.	Est à Tuggurt.
id.	id.	180	2772	Ayech ben Embarek	id.	Tribu des Ouled Ba-Hamou-(1880).	id.	Congédié.	id.
id.	id.	561	3420	Hamoud ben Ahmed	id.	Ouargla (1880).	Biskra.	Retenu.	Revenu à Biskra.
15	2	18	2363	Fechal ben Amor	id.	Tribu des Amamra (1880).	Tuggurt.	Congédié.	id.
id.	id.	775	1834	Ahmed ben Mammeri	id.	Biskra (1871).	Biskra.	Retenu.	Tué à l'ennemi.
2	1	84	2853	Ali ben El-Mokrel	1re cl.	Tribu des Beni Brahim (1860).	Tuggurt.	id.	Retenu au corps au décembre 1881.
id.	id.	97	499	Mammeri ben Mohammed	id.	Tribu des Ouled Gacem (1849).	Ouargla.	id.	Congédié et rapatrié.
id.	id.	883	3014	Mohamed ben Ahmed ben Salem	2e cl.	Ben-Bouzit (1850).	Bou-Saada.	Retenu.	Tué à l'ennemi.
3	3	503	2923	Ahmed ben Taher	id.	Tribu des Mzabis (1850).	Médéa.	Retenu.	Mort de tetanos.
id.	id.	88	1478	Mohammed ben Said	1re cl.	Tribu des Ouled Sahnoun (1865).	Biskra.	Retenu.	Revenu au corps en février 1882.
id.	id.	68	3060	Yahia ben Berradi	2e cl.	Village de Ben-Chegrouni, tribu des Ouled (1850).	id.	Retenu.	Revenu au corps en mai 1881.
4	4	1054	3455	Mohamed ben Bouguerioua	id.	Zaouiet El-Ouad (1864).	Biskra.	id.	Congédié et rapatrié.
id.	id.	136	2908	Bou-Rahla ben Abdech	id.	Mzab (1857).	Médéa.	Retenu.	Tué à l'ennemi.
id.	id.	68	804	Mohammed ben Ramdech	1re cl.	Tribu des Beraber (1864).	Boussy-Saint-Antoine.	id.	Tué pendant la retraite.
id.	id.	252	3006	El-Akhdar ben Kaleb	2e cl.	Médéa (1864).	id.	id.	Tué à l'ennemi.
1	1	738	413	Debeuch ben Mohammed	id.	Ouargla (1838).	Sétif.	id.	id.
id.	id.	335	496	Khamis ben Salah	id.	Gastina (1846), origin. d'Ouargla.	id.	Retenu.	Prisonnier, signalé comme vivant encore.
id.	id.	989	772	Ahmed ben Tahamou	id.	Bou-Saada (1840).	Bou-Saada.	Amnistié.	Doit passer en réforme.
5	5	75	561	Ahmed ben Ali	1re cl.	Tribu des Sbéahs (1865).	Médéa.	Retenu.	Congédié et rapatrié.
id.	id.	980	2744	Abd Er-Rahman ben El-Hadj	2e cl.	Tribu des Ouled Si Yahia (1859).	Tébessa.	Congédié.	Mort de faim.
id.	id.	967	2760	Ahmed ben Mohamed b. Djerbal	id.	Tribu des Beni El-Hadra (1859).	Sétif.	Retenu.	Rentré au corps en novembre 1881.
16	16		2381	Rechir ben Embarek	id.	Barika (1858).	Batna.	Dispo.	Tué à l'ennemi.

d'après FATORNI

المرجع:حسن مرموري ،التوارق ما بين السلطة التقليدية والادارة الفرنسية في بداية القرن العشرين، المجلس الاعلى للغة العربية ،الجزائر ،2010،ص454

ملحق رقم :06 (1+2)

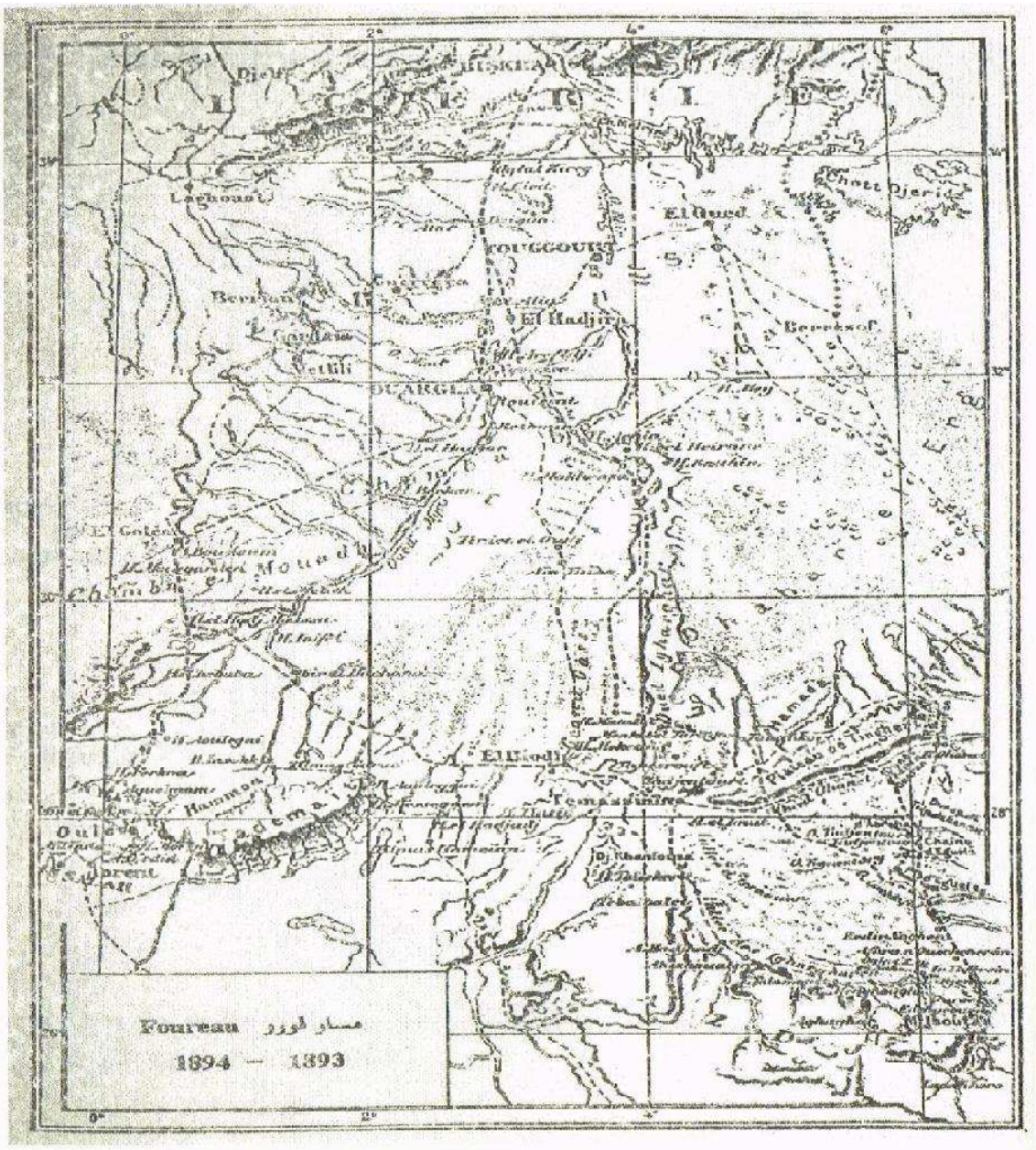

المرجع:حسن مرموري ،المرجع السابق ،ص455

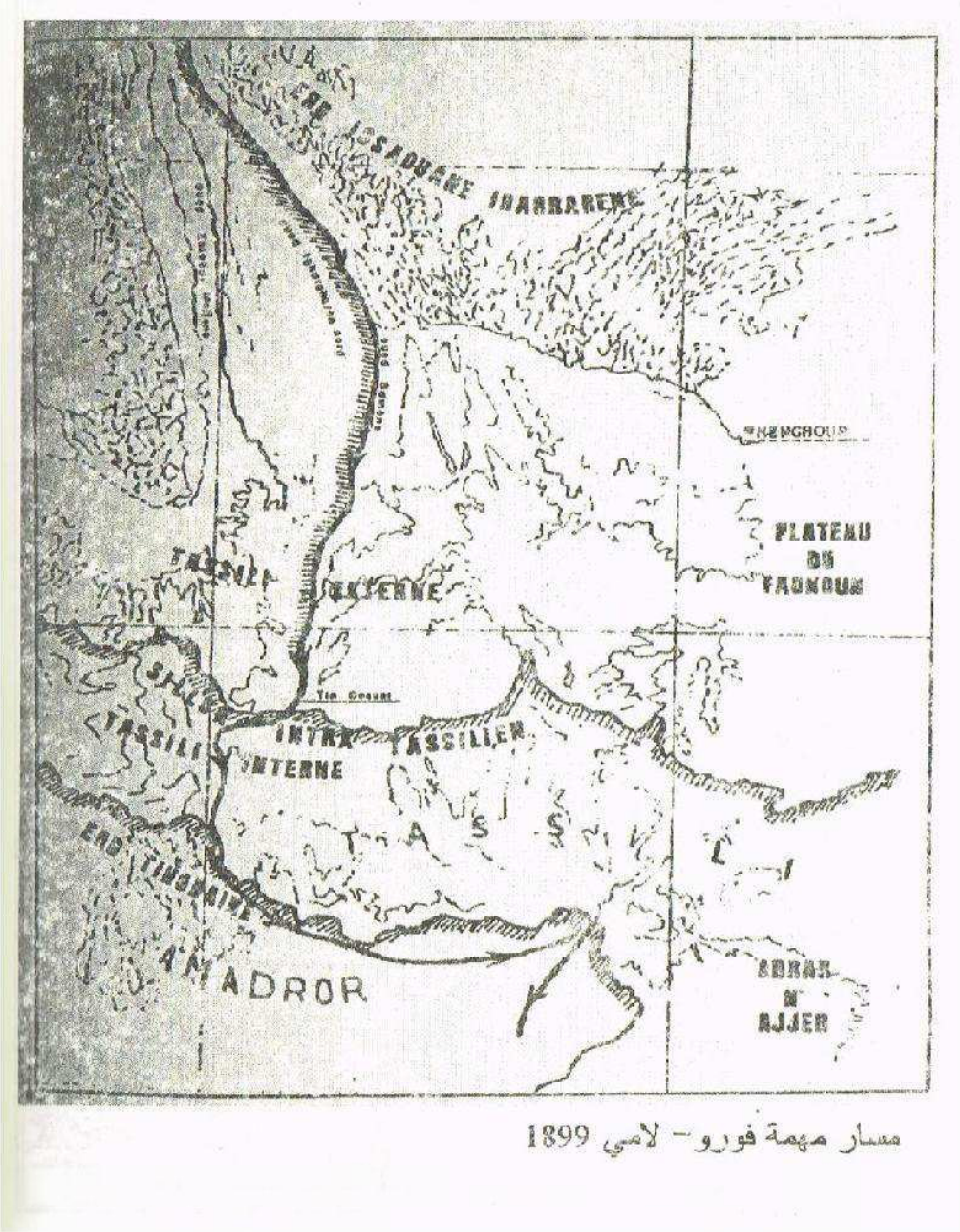

مسار مهمة فورو – لامي 1899

المرجع:حسن مرموري ،التوارق ما بين السلطة التقليدية والادارة الفرنسية في بداية القرن العشرين، المجلس الاعلى للغة العربية ،الجزائر ،2010،ص456

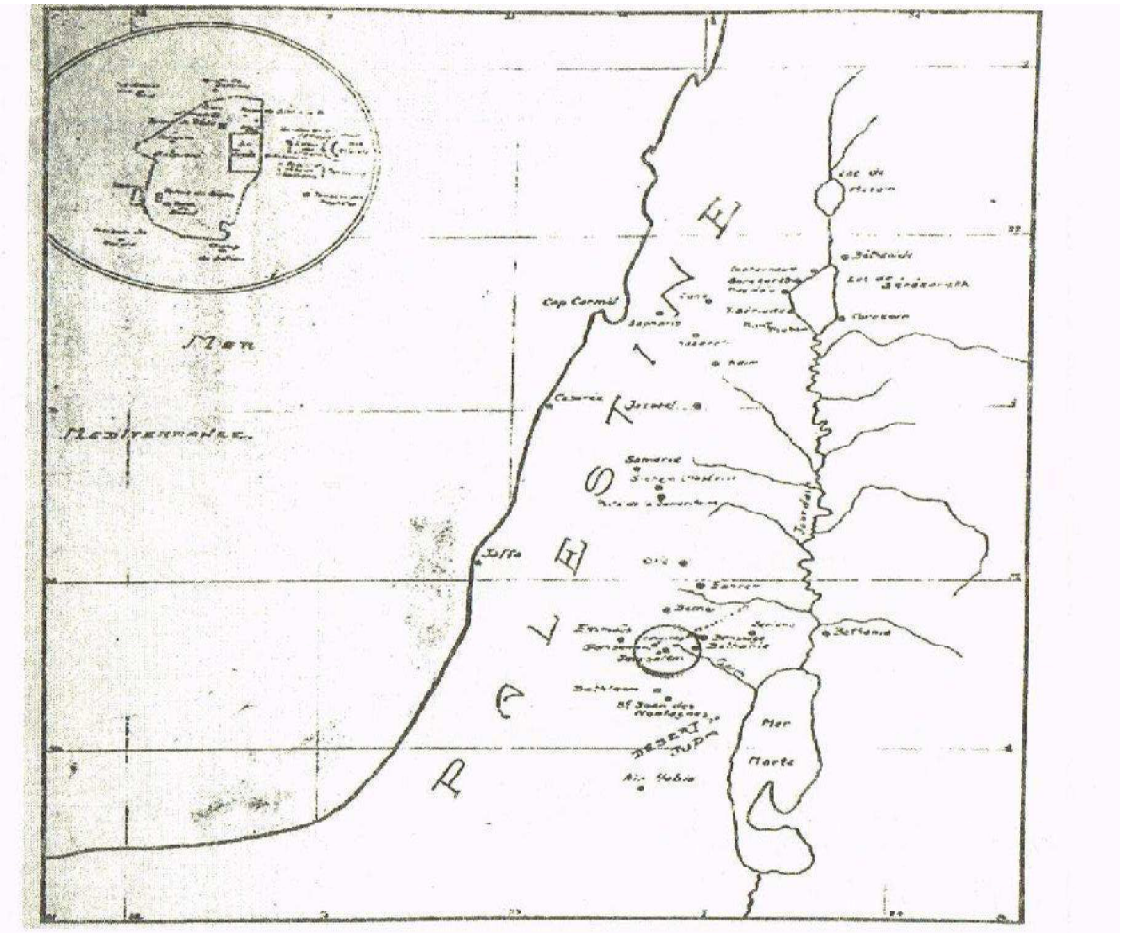

مسار الأب دي فوكولد في الأماكن المقدسة

1900–1888

المرجع:حسن مرموري ،التوارق ما بين السلطة التقليدية والادارة الفرنسية في بداية القرن العشرين، المجلس الاعلى للغة العربية ،الجزائر ،2010،ص464

الملحق رقم 1

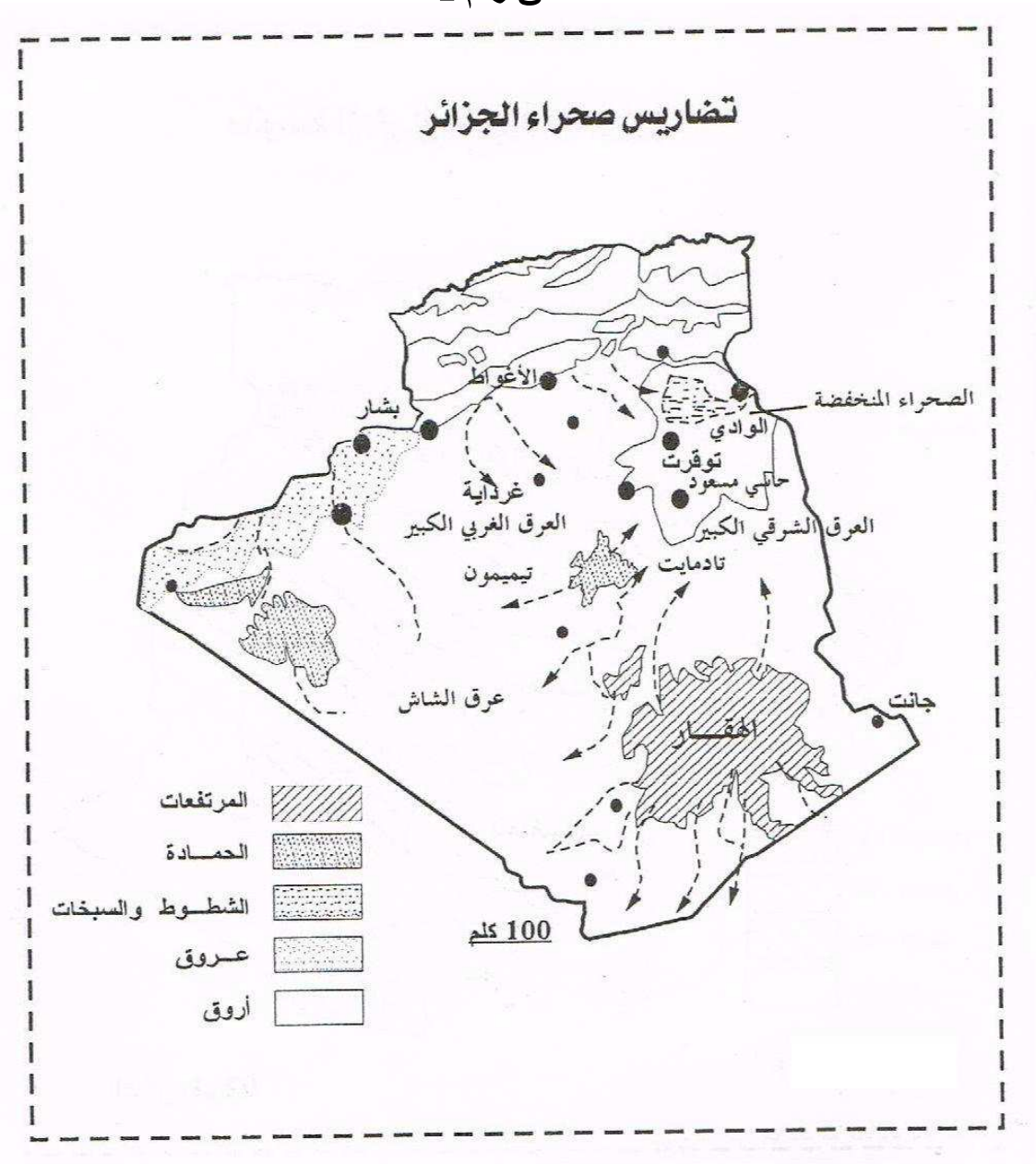

المرجع :عميراوي حميدة واخرون،السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية1844-1916 ،دار الهدى ،عين مليلة الجزائر،2009،ص154

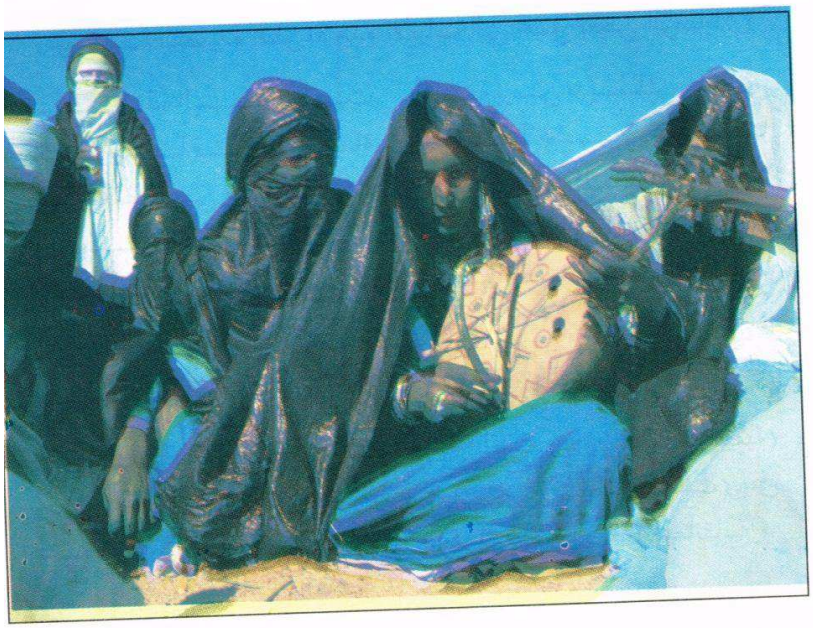

حينما ينطق إمزاد يقل الكلام، يدنو البعيد ويسبح التارقمي في بحور من النشوة والتأمل

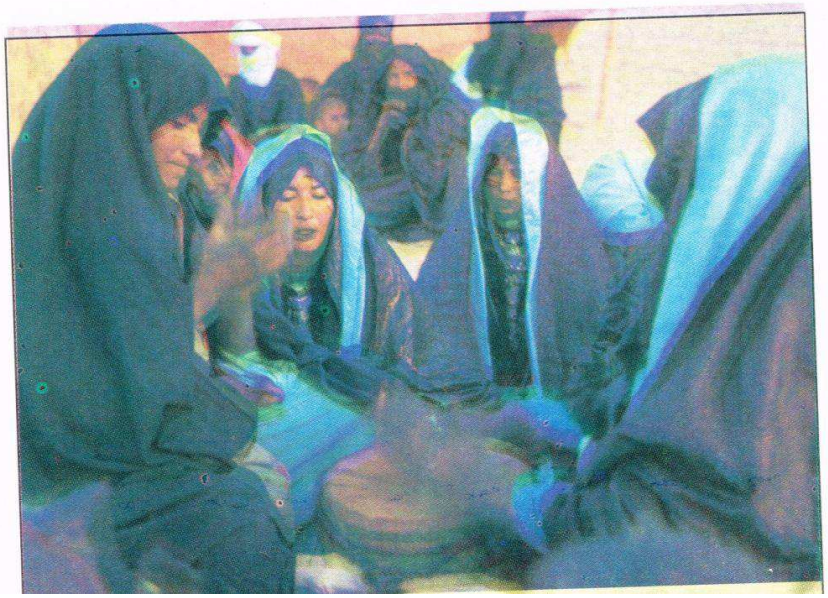

أعراس التوارق: مناسبات للبهجة يتمتع فيها الحاضرون بمختلف أنواع الفنون الموسيقية والاهازيج والرقصات والقصائد المغناة وحتى رقصات الجمال ومنافساتها

قائمة المصادر والمراجع

أولا:المصادر:

1-ابن بطوطة ،نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،ج2،المكتبة الوطنية الكبرى ،د ب ن ،1964

2-ابن خلدون عبد الرحمان ،كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،ج6، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت ،1958.

ثانيا:المراجع:

1-**الكتب:**

أ-الكتب باللغة العربية:

1-أحميدة عميراوي،زاوية سلسم، قاصري محمد السعيد ، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844-1916) ، دار الهدى ، عين مليلة، الجزائر ،2009.

2- برنيان أندري-أندري نوشي،الجزائر بين الماضي والحاضر،ترجمة اسطمبولي رابح ومنصف عاشور،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1984.

3- بشي إبراهيم العيد ، طاسيلي ناجر تاريخ الإستقرار البشري في المنطقة ، سلسلة(البنية الجغرافية والحضارية للطاسيلي ناجر)،ج3 ، دار الحبر، الجزائر، 2009.

4- بشي إبراهيم العيد ، طاسيلي ناجر الحياة الفكرية والإجتماعية والإقتصادية في المحتمع التارقي قديما وحديثا، سلسلة(البنية الجغرافية والحضارية للطاسيلي ناجر) ، ج4 ، دار الحبر، الجزائر،2009.

5-بلغيث محمد الأمين،تاريخ الجزائر المعاصر،دراسات ووثائق،ط1 ، دار البلاغ، الجزائر،2001

6- بن حمودة بوعلام ، الثورة الجزائرية ، ثورة أول نوفمبر 1954 ، دار النعمان ، وزارة المجاهدين ، 2012 .

7- بن بوزيد لخضر ، الطاسيلي آزجر في ما قبل التاريخ -المعتقدات والفن الصخري ،دار الحبر، الجزائر، 2014 .

8-بوشارب عبد السلام ، الهقار أمجادو أنجاد ، دن .نشر المتحف الوطني للمجاهد ، الجزائر،1945 .

9- بوعزيز يحيى ، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ،1999.

10- بوعزيز يحيى ، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب ،ج 1، دار الهدى ،عين مليلة ، الجزائر ،2004 .

11- بوعزيز يحيى ،ثورات الجزائريين القرنين التاسع عشر والعشرين ط1 ،دار البعث للطباعة والنشر ،قسنطينة ،الجزائر،1980

12- بوعزيز يحيى ، ثورات الجزائريين القرنين التاسع عشر والعشرين ط2 ، دار البصائر قسنطينة ،الجزائر، .1980

13-الجمل شوقي ، المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر ،المكتب المصري ، القاهرة ، 2007.

14- حسن مرموري ، التوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية في بداية القرن 20 ، المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر ،2010 .

15- حليمي عبد القادر ، جغرافية الجزائر(طبيعية ،بشرية ، إقتصادية)، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر ،1968 .

16-زبادية عبد القادر ،الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر ،1989.

17-زوزو عبد الحميد ،نصوص ووثائق من تاريخ الجزائرالمعاصر(1830 -1900)،المؤسسة الوطنية للكتاب ،1984.

18- سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)،ج6، دار المغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ،1998 .

19- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954) ،ج8، دار المغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ،1998 .

20- السويدي محمد ،بدو التوارق بين الثبات والتغير ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1986 .

21- العربي إسماعيل ، الصحراء الكبرى وشواطئها، د ط ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1989.

22-عزوي محمد الطاهر ،الغزو الثقافي والفكري للعالم الإسلامي ،دار الهدى ، عين مليلة ،الجزائر،1999.

23-غيرستر جورج،الصحراء الكبرى،تعريب خيري حماد ،المكتب التجاري،بيروت،دون سنة نشر.

24- الفرحي بشير كاشة ، مختصر وقائع وأحداث ليل الإحتلال الفرنسي للجزائر ، طبعة خاصة ، وزارة المجاهدين ،2007.

25- القشاط محمد سعيد ، التوارق عرب الصحراء الكبرى ، ط2، مركز الدراسات وأبحاث شؤون الصحراء ،1989.

26- قنان جمال ، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد،1994.

27- لونيسي رابح وبشير ملاح ، تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989)، ج1 ،دار المعرفة ، الجزائر ، 2010.

28- مياسي إبراهيم ، الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837 -1934)، دار هومة ، الجزائر ،2009.

29- مياسي إبراهيم ، مقاربات في تاريخ الجزائر (1830-1962)، دار هومة ، الجزائر ،2007.

30- المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954،فصل الصحراء في السياسة الإستعمارية الفرنسية ،دار القصبة .2009.

31-المدني أحمد توفيق ، هذه هي الجزائر ، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة،2001 .

32- المدني أحمد توفيق ،أبطال المقاومة الجزائرية ويليه جغرافية القطر الجزائري ، المجلد التاسع ،طبعة خاصة ، وزارة المجاهدين ، عالم المعرفة ، الجزائر،2010 .

33-النقيب ع,ف لايون ،مدخل إلى الصحراء ،ترجمة الدكتور الهادي أبو لقمة ،منشورات جامعة قاريونسن،بنغازي،2001.

34-ولد الحسين محمد الشريف،من المقاومة إلى الحرب من أجل الإستقلال (1830-1962) ،دار القصبة الجزائر،دون سنة النشر.

ب-الكتب باللغة الأجنبية:

-1-BidaBadi,Les regions de lahaggar et du tassili n azjer ,Editions A.N.S.P , Rouiba ,Algeie,2004.

-2-Claud Blanguernon,Le hoggar,Arthand S.N.E.D,Algerie.

-3-Djilali Sari,Insurrection,de1881 / 1882 ,S.N.E.D ,Algerie,1981.

-4-Mohamed Tiab,lachronologie Algerienne(1830-1962),tome1,1999

2-المجلات والمقالات:

أ-باللغة العربية:

1-إبراهيم العيد بشي، مقاومة سكان الجنوب الشرقي،غير منشور.

2- أحمد مريوش،التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان الهقار1916 ، المصادر ،العدد11، السداسي الأول ،2005.

3-بن بوزيد لخضر،حملات التنصير في إفريقيا والغرب،المجلة الإفريقية للعلوم السياسية.

4- بوعزيز يحيى ، اهتمامات الفرنسيين بالتوارق ومنطقة الهقار ، مجلة الأصالة ، العدد 72، الجزائر ،أوت 1979 .

5-بوعزيز يحيى،انتفاضة الطوارق بآجر و الهقار(1916-1919)،مجلة الثقافة ،عدد93 ،الجزائر،1986.

6- شارل دي فوكو ودسائس الإستعمار في الهقار .مجلة أول نوفمبر .المنظمة الوطنية للمجاهدين .الجزائر .العدد161. 1999.

ب-باللغة الفرنسية:

1-Henri duveryrier,voyage an Sahara,Extrait du bulletin de la sosieté LeGéographie,Aout,1874 .

2-Grammomt ,La Colonel Flatters,Revue Africainne,N26,1882.

الأطالس:

-أطلس الجزائر و العالم طبيعيا و بشريا واقتصاديا وسياسيا،دار الهدى ،عين مليلة ،الجزائر،د س ن .

الرسائل الجامعية:

1- بوزيد سبابو مريم ، دور الغناء والموسيقى في تشكيل الهويات الإجتماعية عند طوارق الآزجر ، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه ، قسم علوم الإجتماعية ، جامعة بن يوسف بن خدة ، الجزائر ،2007-2008.

2-عبد القادر خليفة ، تحولات البنى الإجتماعية وعلاقاتها بالمجال العمراني في مدن الصحراء الجزائرية (دراسة سوسيو أنتروبولوجية لمدينة توقرت) مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه ، قسم العلوم الإنسانية والإجتماعية ، جامعة محمد خيضر ،بسكرة ،2011.

3-مياسي إبراهيم ، توسع الإستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر ، جامعة الجزائر،1987.

حصة تلفزيونية:

-تين هينان بين الأسطورة والواقع، youtup،15 أفريل2014،على الساعة 54: 12